روايات عبير

صراع المشاعر

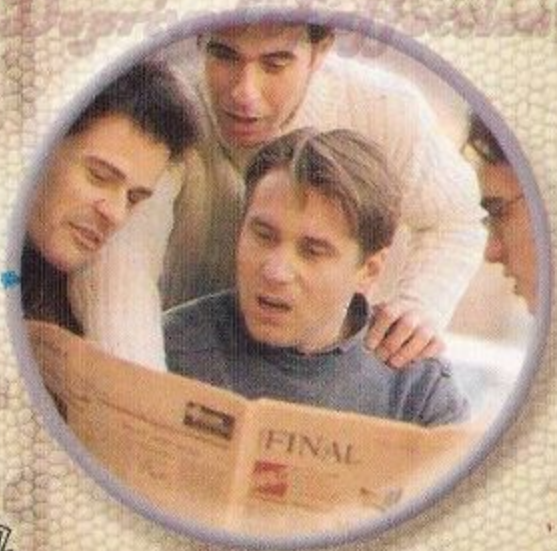

دار الكتاب العربي
بمصر - القاهرة

No. 054

روايات عبير

صراع المشاعر

عندما غادرت (فيرنا) مدينتها إلى مدينة أخرى، لتعمل رئيسة تحرير صحيفة محلية .. تصورت أنها تركت مشاكلها العاطفية وراءها .. لتبدأ حياة عملية جديدة لا مجال فيها لأية معاناة قد تعيق رحلتها الوظيفية.

لكن حدث أن قابلت (كون برادلى) ذلك اللقاء المزعج الذى استهلت به حياتها فى المدينة الجديدة. لقد ظنت فيرنا أنها سرعان ما ستنسى ذلك الأمر .. لكن (كون) اقتحم عليها حياتها .. وحياتها أيضا .. وأطلق عليها لقبا مثيرا: أمنا الغولة رئيسة التحرير.. ليقلب بذلك عالمها كله رأسا على عقب.

لقد كان بإمكان فيرنا أن تتعايش مع ظروفها بشكل أو بآخر. لكن الأحداث تسارعت لتقرع أبواب حياة فاصلة غير متوقعة ..!!

سوريا	٧٥ ل.س	البحرين	٧٥٠ فلس
مصر	٥ جنيه	قطر	٨ ريال
لبنان	٢٥٠٠ ل.ل	مسقط	٧٥٠ بيسة
الأردن	١ دينار	المغرب	١٥ درهم
السعودية	١٠ ريال	ليبيا	١,٥ دينار
الكويت	٧٥٠ فلس	تونس	١,٥ دينار
الإمارات	١٠ درهم	اليمن	٢٠٠ ريال

www.ktab.com

١- الذراع المفتولة

تلألأت رمال شاطئ كيلى بيتش كبلورات الملح تحت ضوء قمر بدا شاحباً يلملم أوراقه ويستعد للرحيل، بينما أخذت أمواج كوينزلاند تداعب قدمى فيرنا جرانت التى أخذت تتهادى على الشاطئ دونما هدف ومن أمامها تقافز ظل أسود يزحف فى بطء خلف كلبتها شيبا التى أخذت تتقافز وتلهو بمياه البحر فى سعادة غامرة لكن فيرنا كانت غارقة فى أفكارها فلم تلق بالاً لما أخذت الكلبة تفعله.

كانت الساعة قد بلغت الرابعة فجراً.. خمس ساعات بالضبط قبل أن تواجه أول أيامها كرئيس تحرير الصحيفة الأسبوعية بوندا بيرج. كانت ستأوى إلى فراشها مبكراً لكن هيهات.. حاولت كثيراً ولم يداعب النوم جفنيها إلى أن يأست فى النهاية من جدوى المحاولة كانت تعلم أنها سذاجة منها، فبعد عشر سنوات من العمل كصحفية متمرسة كان من المفروض ألا تقلق إلى هذا الحد وتحمل هم منصبها الجديد كرئيس للتحرير وفى الواقع، فإنها كانت تتطلع إلى هذا التحدى، وإلى ما يصاحبه من عمل مرهق قد ينسيها ستيفن لا لا!! إنها لن تفكر فيه مطلقاً سيكون تضييعاً للوقت وتدميراً للذات أن تفكر فى أمثاله،

كذاب ومخادع ومتزوج أيضاً، كاد أن يجعل منها أكبر مغفلة فى التاريخ!!

إن الخطأ خطأها فى الأصل كان يجب أن تتنبه من البداية لما أبدته شيبا تجاه هذا السافل إن الكلبة لم تبد ارتياحها نحوه من أول مرة، ورغم أنه ليس من المعقول أن تبنى أحكامها على تصرفات كلبة لم يتعد عمرها الثمانية عشر شهراً، إلا أن فيرنا قد أقسمت بينها وبين نفسها أنها ستنتبه أكثر لردود أفعال شيبا فى المرة القادمة.

- إن كانت هناك مرة قادمة!!

هكذا تمتمت تحدث نفسها وأزاحت شعرها الطويل الأشقر المائل للأحمرار إلى الخلف فى شرود ممزوج بالغضب لقد جرحت فى كرامتها جرحاً بالغاً، لكنها لن تدع ذلك يؤثر على عملها.

- وما قيمة الكرامة الشخصية؟!! لا شىء.

لازال كل شىء على ما يرام ليست نهاية العالم على أية حال.

غاصت أكثر وأكثر فى أفكارها، وفى مياه البحر أيضاً إذ لم تفق من شرودها إلا على ملمس المياه الباردة تلسع ركبتيها.. فعادت إلى وعيها قليلاً تأملت الأمواج من على يمينها فلمحت هيكلاً لشخص يقف وسط الماء! كان يبدو من شبح الرجل الذى أمام عينيها أنه وسيم وقوى البنية، وإن لم تستطع تبين ملامحه جيداً، إذ كان يقف وظهره للقمر، فليذهب للجحيم بوسامته إن آخر شىء قد تفكر فيه هو أن يدخل حياتها رجل آخر بعد ما جربته من خيانة ستيفن. اللعنة عليه وعلى من يذكر اسمه مرة أخرى!!

ليست بحاجة إليه ولا إلى أى رجل آخر، إن لها عمل جديد الآن، وأبعد ما يكون عن ملبورن ومناخها المتقلب، وعن هذا الستيفن! لديها أيضاً ذلك الشالية الجميل بمدخله الأنيق وسوره العالى، وسيارتها المينى سبور الأرجوانية الجميلة وإن كانت قديمة إلى حد ما، وكذلك لديها شيبا التى لا يمكن أن تفكر فى خيانتها.

هزت فيرنا رأسها فى غضب وهى تحاول أن تتجاهل تلك الدمعة التى أفلتت من سجن عينيها وانسالت على خدها ثم تهاوت كبيرة النفس لتذوب وسط دموع البحر وماذا فى أن تظل حتى الثامنة والعشرين من عمرها دون أن يرتبط بها أحد؟! لديها كل ما كانت تتمنى وهى فى غنى عن أن يشاركها فيه أى أنانى من هؤلاء الرجال!!

ليذهب كل الرجال إلى الجحيم!! ستظل هكذا عانساً حتى الثلاثين والأربعين وإلى أن تموت، وليدفنوها فى قبر العوانس وليكتبوا على شاهد قبرها لم يستدل على العنوان ولسبب ما وجدت فيرنا فى خداع الرجال وتسلطهم ما جعلها تنفجر فى الضحك. وجلجلت ضحكاتها تهز جدران الصمت الذى لف الشاطئ.

- فتى هناك..

كان ذلك ما حملته أمواج البحر صدىً لضحكاتها! صوت رجالى خشن يدوى فى المكان وله قعقعة الحديد!! نظرت فيرنا ناحية شيبا فوجدتها تجرى وتتقافز على الشاطئ وتجرجر فى أنيابها سروال رجل!! نعم سروال رجل ومن فورها فهمت سبب هذه البذاءات التى صدمت أذنيها من لحظات.

كانت الكلبة قد اقتربت منها فصاحت فيها.

- شيبا! تعالى هنا!

لكن الكلبة استدارات وولت فراراً فى مرح.

صاحت فيها مرة أخرى:

- شيبا! تعالى هنا.. الآن!

لكن صياحها ذهب أدراج الرياح إذ وجدتها الكلبة لعبة مسلية تقترب منها ثم لا تلبث، حينما توشك فيرنا أن تمسك بها، أن تستدير وتعدو هاربة منها فى سعادة. وأخيراً وصلت فيرنا إلى مظلة الشاطئ ورأت تحتها الكرسى وعليه منشفة ومن تحته الصندل كانت شيبا حينما قد ابتعدت إلى مسافة آمنة.

ألقت الكلبة بالسروال أرضاً وأخذت تعبث به وتلعقه وعندما اقتربت فيرنا منها مرة أخرى اختطفته بأنيابها وطارت به فى مرح.

تساقط سيل من العملات المعدنية من أحد جيوب السروال وتبعته محفظة.

صاحت فيرنا فى قرع:

- أوه.. تعالى هنا أيتها الكلبة السيئة وإلا سأجعل حياتك سوداء كسواد الليل!!

وصاح صوت خشن من الماء قائلاً:

- وستكون حياتها تلك قصيرة جداً لو وضعت يدى عليها!

والآن هل تحركت من مكانك وساعدتنى على استعادة سروالى بدلاً

من الوقوف هكذا؟!

التفتت فيرنا لترى ذلك الوجه الذى تدحرجت منه تلك الكلمات ووجدته كرة سوداء تطفو فوق الأمواج وردت فى غضب:

وما الذى تظننى أفعله؟! هل ترى أننى لا أستطيع الإمساك بها؟ عليك أن تصبر قليلاً!!

رد الصوت فى غضب أشد:

- أصبر؟! ما هى إلى دقائق ولا يصبح للصبر معنى.

كانت الكلبة قد سحبت السروال الآن إلى حاجز الأمواج وسارت فى بطء عليه تجرجره وراءها.

صاحت فيه فى تبرم:

- لماذا لا تأتى وتساعدنى فى الإمساك بها بدلاً من الوقوف هكذا والثرثرة؟!!

كان يرتدى سروالاً قصيراً من الذى يرتديه المصطافون تحرك الرجل فى بطء متجهاً ناحيتها وقفت تتأمل بنيانه القوى وعضلاته المفتولة فى ذهول.

ظلت تحدق فى شرود فى الرجل وهى تحاول تبين ملامحه فى عتمة الفجر. وتوقف الرجل يحدق فيها بدوره وساد الصمت لحظات ثم أحست بشىء ناعم يرتطم بساقها وبأنف رطب يحتك بها كانت الكلبة قفزت فيرنا عليها تحاول الإمساك بها لكن الكلبة طارت مبتعدة مرة أخرى عندما سمعت سباب الرجل ولعناته التى أخذ يصبها عليها.

تجاهلت فيرنا سبابه وردت فى هدوء:

ـ كدت أمسك بها لولا صياحك.. لماذا لا تذهب وتسبح أو تفعل أى شىء، إنها ستعود إلى ولن تهرب.

أجابها فى صوت تلجى:

لقد نلت ما يكفى من السباحة.

ردت قائلة:

ـ فاسبح لمرة إضافية ومن فضلك كف عن السباب، إنه لن يفيد فى شىء.

رد ساخطاً:

ـ للكلبة المتشردة العقور!!

ردت عليه فى حسم:

ـ إنها ليست متشردة إنها بوكسادور أصيلة وأظن أنه لولا صياحك لكانت عادت إنها تظن أننا نلعب معها.

رد ساخراً يخرج الكلام من أنفه:

ـ حسناً! سألعب معها.. لكن ومسدسى فى يدى. ثم ما هذا البوكسادور بحق الشيطان!!

أجابته فى تأفف:

ـ نصفها من سلالة البوكسر والنصف الآخر من سلالة لبرادور أصيلة من الأبوين، هل فهمت الآن؟

رد عليها ساخراً:

ـ متشردة أصيلة وتستحق الرمى بالرصاص انظرى الآن! ها هى تعود مرة أخرى!!

وما إن سمعت الكلبة صياحه حتى استدارات وولت هاربة.

صاحت فيرنا فى سخط:

هل ترى الآن!! لو كنت أغلقت فمك وبقيت هادئاً لكنت أمسكت بها، من فضلك أصمت وسأحاول أن التقط محفظتك ونقودك قبل أن نقرر اللعب بهما أيضاً.

أجابها فى تهكم:

ـ أجل أجل، حاولى فقط أن تتركى لى أوراقى الشخصية يمكنك أن تأخذى النقود لو أمسكت بكلبتك الملعونة هذه وانصرفت من هنا.

شهقت فيرنا مندهشة من تلميحاته وقبل أن تفكر فى الرد عليه وجدته يضيف:

ـ خسارة أنك لم تدربيها على نحو أفضل! كان بإمكانك الانصراف بالنقود قبل أن أنتبه لوجودكما على الشاطئ!!

صاحت فيرنا:

ـ أمسكت بك أيتها الشيطانة الصغيرة!

ثم انحنت وأمسكت بسلسلة الطوق جيداً وجثت على ركبتيها بجوار الكلبة وهى تلهث وأمسكت بأذنيها وأدارت وجهها نحوها.

وبختها ومدت ذراعها قائلة:

- والآن أيتها الكلبة الشقية الصغيرة هيا أعطنى السروال هيا!!

وأطاعتها الكلبة فى خضوع وفتحت فمها فسقطت كتلة من القماش المشبع بالمياه فى يدها الممدودة.

نهضت فيرنا والسروال فى يدها قائلة:

- هكذا فتاة طيبة!

ثم ما لبثت أن أضافت فى ذهول:

- لا لا!! شيبا!! اللعنة!!

كانت الكلبة قد اندفعت نحو المنشفة الموضوعة على الكرسى وأمسكتها بأنيابها وولت هاربة تجاه المنزل.. دون لعب هذه المرة.

أتاها الصوت المائى يقول فى سخرية:

- هكذا!! فتاة طيبة! عليك اللعنة! إنك أسوأ مدربة للكلاب عرفتها فى حياتى لماذا لم تمسكى بها عندما أتيحت لك الفرصة؟!

ردت فى تلعثم:

- لم أكن أظن أنها قد..

قاطعها ساخراً:

تظنين؟! وهل لمثلك عقل؟ والآن هل تتكرمين بترك سروالى أرضاً وتتحلقى وراء كلبتك المعلونة هذه حتى أخرج من هنا قبل أن تطلع الشمس؟

دون أن ترى لماذا فعلت ذلك، وجدت فيرنا نفسها تمسك بالسروال وتتجه ناحية محفظته الفاطسة فى الرمال.

قالت فى حماس:

- أظن أنه من الأفضل أن أحصل على النقود أولاً، رغم أننى لا أعتقد أن الأمر يستحق فمن منظر سروالك هذا لا تبدو غنياً.

صاح فيها الرجل فى دهشة:

- اللعنة!! ألم تفعلى ما فيه الكفاية حتى الآن؟

ردت عليه فى هدوء:

- ها أنت تسب وتلعن مرة أخرى ألم أقل لك أن تكف عن ذلك؟ ثم ألم تتعلم أنه ليس من الأدب أن تتكلم مع النساء بهذه الطريقة؟!

أجابها فى حنق:

- نساء؟ وهل أنت سيدة؟ أراهن أنك قد دربت كلبتك الحقيرة هذه على السرقة!!

أدارت فيرنا ظهرها له قليلاً وتظاهرت بأنها تعد النقود الموجودة فى المحفظة ثم قالت فى سخرية:

- كما توقعت تماماً! لا شىء سوى بضعة جنيهات! لقد ضيعت وقتى!!

رد فى تهكم:

- إننى لا أحمل معى نقوداً كثيرة يا جناب اللصة .والآن هل ستنصرفى من هنا، أن ستنتظرين أن أذهب للمنزل وأجلب لك المزيد من النقود؟!

ردت تغيظه وهى تستمتع بهذه اللعبة

- فكرة رائعة! والآن هل أنادى على شيبا لتجفف بدنك أولاً أم ستظل واقفاً فى الشمس حتى تجف.

ورغم أن فيرنا كثيراً ما تعرفت على مفردات البذاءة التى يستعملها المتشردون والهمج، إلا أن ذلك الرجل قد أتحف سمعها بثلاث مفردات جديدة تماماً لم يصطدما بأذنيها من قبل.

أجابت على بذاءاته قائلة:

- فلتحمد الله أن ليس معى صابون الآن وإلا كنت قد جعلتك تغسل فمك من هذه القذورات التى تخرج منه لا عجب أنك بهذا الفقر مع مثل هذه المفردات القبيحة!!

رد فى خضوع:

- حسناً حسناً.. إننى أعتذر لك أيتها اللصة.

كركرت فيرنا ضاحكة تقول:

- عيب! عيب! يا خبر!! إن النهار كاد يطلع ربما سآخذ هذه الخرق البالية إلى شيبا لتلهو بها فيما بعد.

وانحنت ترفع سرواله من على الأرض دون أن ترفع عينيها من عليه كانت تود لو استطاعت أن ترى ملامحه بوضوح، لكنه كان يقف وظهره لنور الفجر الذى بدأ يشق الأفق لم تستطع تبين إلا كتلة من الشعر الأسود، على ما تعتقد.

واندفع الرجل خارجاً من المياه وهو يرغى ويزبد متجهاً نحوها، وأطلقت فيرنا ساقيها للريح تعدو أمامه وفيما بعد ظل ما حدث فى

تلك الساعة من ساعات الفجر الأولى شيئاً لا يفارق مخيلتها مهما حاولت!!

ظلت فيرنا طوال طريق العودة إلى الشالية تقلب ما حدث فى رأسها ولا تستطيع أن تجد تفسيرا لكل هذا الارتباك الذى تشعر به لماذا تحس بكل هذه الخفة والسعادة.. والعزة ولكن أيضاً بكل هذا الضياع وهذه الوحدة.. والهوان!!

تناولت فطورها بشهية مفتوحة وبسعادة تغلغلت فى أعماق نفسها، لكنها حينما ارتدت ملابسها وتهيأت للخروج متجهة للعمل، أحست بغضب عارم ورعب شديد وجرح لا يندمل!

أبقى بالفناء ولتحمدى الله أننى لم أحبسك فى كوخك.. ما أنت إلا كلبة خائنة.. وعميل مزدوج!!

هكذا وبخت كلبتها التى كانت بدأت تزوم حزناً لكونها ستبقى فى البيت وحدها.

لم تستغرق فيرنا سوى دقائق معدودة لتقطع المسافة من الشالية الصغير الذى استأجرته فى بارجرا وتصل إلى وسط مدينة بونديورج، لكنها ما إن انتهت من إيقاف سيارتها فى المكان المخصص لها خارج مبنى الجريدة، حتى أحست بنفور شديد من دخول المكان.

نظرت فى ساعة يدها.. لازال أمامها خمسة عشر دقيقة كاملة قبل الموعد المحدد مشت بخطوات وئيدة فى شارع تارجو متجهة إلى ناصية تقاطعه مع شارع بوريونج وهو الشريان التجارى للمدينة.

توقفت على الناصية أمام البنك تتأمل وجوه المارة.

كانت تبحث وسط الوجود عن رأس يحمل فوقه شعراً بنى اللون.. وبنيان مفتول العضلات.. ذلك كل ما استطاعت أن تتبينه من الشبح الذى رأته ليلة أمس.

أغلقت فيرنا عينيها لحظات تستعيد ذلك المشهد الحزين المفرح وعندما فتحتهما اتسعت عيناها دهشة كانت لافتة المحل المواجه لها على الناحية الأخرى من الشارع تحمل اسما غريباً!! «الذراع المفتولة» وقد كتبت بحروف بارزة كبيرة وأضواء مبهرة وبجانبها صورة ذراع مفتولة العضلات وقبضة قوية موجهة نحو الرائى!!

لم تستطع فيرنا السيطرة على نوبة الضحك التى انتابتها رغماً عنها وكأن اليافطة هنا لتذكرها بأحداث هذا الصباح مع ذلك الرجل القوى المفتول العضلات!! ودون أن تلحظ أن المارة بدءوا يلتفتون لضحكاتها وما تفعل تثنى ذراعها وضغطت عضلات عضدها لتقلد الذراع المرسومة أمامها فى سخرية والمارة يضحكون مما تفعل ثم استدارت على عقبيها ومضت فى اتجاه الصحيفة.

٢- العشاء المثير

طوال الأسبوع الأول فى عملها الجديد لم يكن هناك مجال ولا وقت للأحلام الرومانسية إذ قضت فيرنا أياماً كاملة منهمكة فى ترتيب الأمور مع رئيس التحرير الراحل وفى اجتماعات مع الناشر للاتفاق على التعبيرات العديدة التى ستتم على التحرير والتنسيق الفنى للصحيفة، والتى سيتم تنفيذها مع بداية توليها لمنصبها رسمياً فى الأسبوع التالى.

كان الناشر ريج ويليامسون شخصاً ظريفاً تحب أن تعمل معه وألفته فيرنا منذ أن وقعت عيناها عليه بوجهه الطفولى البرىء وملامحه التى تنطق بالطيبة وحسن الطباع وعلى نهاية الأسبوع تيقنت أن العمل فى هذه الصحيفة سيكون أكثر إمتاعاً وتشويقاً عما توقعت، إذ أتيحت لها الحرية المطلقة فى تحرير الصحيفة داخل إطار من التوجيهات العامة.

ولم يكن التوزيع مشكلة بالمرة فالصحيفة أسبوعية مجانية توزع لكل منزل فى المدينة بالبريد لكن يمكن تحسين إيرادات الإعلانات دون شك، ورأى ريج ويليامسون وفيرنا أن تغيير الأسلوب القصصى

والتنسيق الفنى قد يساعد كثيراً فى ذلك.

وقد أخبرها ريج ذلك منذ البداية قائلاً:

- لن تكن مهمتنا سهلة، لكن أعتقد أنك سمعت عن الروائى «كون برادلى»؟

أجابته فيرنا:

- مجرد سماع فهو كاتب مشهور لكننى لا أعتقد أننى من المعجبات بأسلوبه.

ناشدها ريج قائلاً:

- حسناً، لا تخبريه برأيك هذا بحق الله لو وافق على كتابة عمود فى صحيفتنا فسيعطينا ذلك دفعة كبيرة، خصوصاً وقد قال إن ذلك لن يكلفنا إلا المصاريف فقط.

سألته فيرنا:

- حسناً وما المقابل؟

ابتسم مراوغاً وقال:

- أوه.. ليس شيئاً ذا بال إننى فقط قد وعدته تقريباً بأن تكون له حرية فى التحرير لو وافق على الكتابة لنا!

سألته فيرنا فى ريبة:

- ماذا تعنى بوعدته تقريباً؟!

هز كتفيه قائلاً:

- إنه يريد كتابة العمود بطريقته وهو لا يحب كثيراً رؤساء التحرير..

سألته فى استنكار:

- وخصوصاً رئيسات التحرير.. هل هذا ما تحاول قوله؟

- أسرع يجيبها:

لا.. لا طبعاً لا لم يقل شيئاً عن ذلك بالمرة كل ما فى الأمر أنه.. أن.. حسناً لقد رأيت حال الصحيفة الآن، ولقد رآها كون كذلك ولقد اقترح تقريباً أن يتمنى أن يكون رئيس التحرير الجديد أفضل من سابقه، ليست هناك نزعة سوفيتية فى الموضوع أبداً.. بالمرة.

أجابته قائلة:

- حسناً، أتمنى بالطبع أن أكون أفضل من سابقى، لو لم تمانع فى فواى هذا وأعتقد أن ذلك من بين الأسباب التى دفعتك لاختيارى فى المقام الأول.

تألقت عيناه وقال:

- طبعاً.. طبعاً وأعرف أنكما أنت وكون ستعملان معاً بشكل رائع إنه محترف بحق، وقد كان يوماً رئيساً للتحرير، لذا فليس هناك من سبب لكى تتعاونا معاً على نحو جيد.

ردت فى شىء من السخرية:

- حسنا لا يهم كيف سنتعاون معاً طالما سيقصر عبقريته على عموده.

كان واضحاً أن ريج ويليامسون لا يستحسن الموقف بالمرة وأن صديقه هو الذى اقترحه عليه فلم يجد بداً من إجابته إلى ما طلب.

وطوال ما تبقى من الأسبوع كانت مشغولة إلى درجة كبيرة ولذا حينما استدعاها ريج إلى مكتبه صباح الاثنين التالى لم تشك كثيراً أن كون برادلى وعموده لهما صلة بهذا الاستدعاء حينما دخلت المكتب بادرها ريج دون مقدمات قائلاً:

- أتمنى ألا تكونى مشغولة هذه الليلة على العشاء. سنقابل كون لنضع التفاصيل النهائية فى مسألة العمود المخصص للمطاعم هذا.

ردت فى بساطة قائلة:

أعتقد أننى سأستطيع، بل يجب أن أستطيع الحضور، هل ستبدأ هذا الأسبوع إذاً؟

أجابها قائلاً:

- لا.. لم يتحدد كل شىء بشكل قاطع بعد يقول كون إنه يود أن يقابلك أولاً وذا اتفقتما فسيكتب مقال العدد القادم.

ابتسمت قائلة:

- إنك تغامر كثيراً يا عزيزى فلو عرف صاحبك أننى لا أستمتع بقراءة كتبه فقد يرفض كتابة العمود من أصله.

لا أعتقد أنه ستحدث أية مشاكل بينك وبين كون خصوصاً وأن لديه نظرة فى النساء، إلا إذا كان قد تغير كثيراً فى السنوات الماضية، لكنه على كل حال يحب اللعب بالألفاظ وستعجبه طريقتك كثيراً

عموماً سآتى لأوصلك فى السابعة، إن كان ذلك مناسباً سنتقابل فى مطعم دون بانشو.

ثم انتظر حتى وصلت إلى الباب وصاح فيها قائلاً:

- هيه! ارتدى شيئاً.. جذاباً أعرف أنك دائماً جذابة ولكن..

ردت قائلة:

- أعرف: لديه نظرة فى النساء، لكن يا خسارة أعتقد أننى سأهتم أكثر بالطعام سألها فى دهشة:

هل تقصدين أنك لا تبحثين عن زوج؟

أجابته قائلة:

- لا لذا كف عن شغل الخاطبات هذا، لأنه لو كان ذلك جزءاً من اللعبة فستخسران أنت وكاتبك، إننى أحذرك.

رفع كفيه فى استسلام وقال باسماً:

- حسناً.. حسناً لقد فزت لكن إياك أن تأتى إلى لتطلبى مشورتى بعد أن تقابلى كون إنه شيطان وسيم ويجيد اللعب جيداً.

ردت بابتسامة قائلة:

- وله سلطة تحريرية ولست على استعداد على التورط مع رجل لا أستطيع السيطرة عليه كذلك لماذا أحتاج إلى كاتب وسيم؟ فأنا لدى ناشر وسيم ومضمون ومتزوج.. من العينة التى أحبها.

رد ضاحكاً:

- آه قد تفيدك المغازلة لو أنني كنت أصغر من ذلك بعشرين عاماً ما كنت جرؤت على قول ذلك.

ردت قائلة:

- إنني أتدرب فقط يا عزيزي لكي أستطيع أن أسحر كون برادلي الليلة، فإذا كان وسيماً وثرياً فسأكون مضطرة لاستخدام كل ما في جعبتي من فتنة النساء لأبقيه بعيداً عن الاستيلاء على عملي.

رد قائلاً في جدية بدت غريبة:

- ليس عملك هو الذي يجب أن تقلقي بشأنه.. عليك فقط إقناعه بالكتابة لصحيفتنا.

نظرت فيرنا في ساعتها في قلق وهي تجلس مع ريج ويليامسون في موتيل دون بانشو، كانت الدقائق تمر بطيئة وهي تجلس في ترقب للقائها الأول مع هذا "العمود جي" الذي يحب أن تكون يده طليقة فيما يكتب.

نظرت إلى ريج وقالت:

- أخشى ألا يعجب كون بي أعلم كم ذلك مهم بالنسبة لك وأكره أن أكون السبب في إفساد الأمر عليك يا عزيزي ريج.

ضحك الرجل قائلاً:

- ستعجبيه بالطبع لا أتخيل يا فتاتي العزيزة ألا يعجب بك أي رجل مهما كان.

رفعت فيرنا كوبها وارتشفت بعضاً منه وقالت:

- لو تعلم! إنني أعرف عدواً واحداً لي على الأقل، هناك..

انفجر الرجل في الضحك حتى خالته فيرنا سيقع من على كرسيه، عندما أخبرته عما حدث معها ذلك الصباح.

ثم اختتمت كلامها قائلة:

- وأنا موقنة أنه سيمر وقت طويل قبل أن يفكر في السباحة في البحر مرة أخرى وأعتقد أنه يستحق ذلك.

ترى هل ستكون روايته للواقعة ممتعة إلى هذا الحد؟

ارتطم صوت كهدير الأمواج بأذني فيرنا فانخلع له قلبها رعباً.

نهض ريج من مكانه وقال في حبور:

- كون! منذ متى وأنت هنا يا عزيزي؟

وعانق الرجل الذي أجابه قائلاً:

- منذ مدة كافية لسماع معظم القصة الممتعة التي كانت السيدة جرانت تحكيها للتو. ولم أشأ مقاطعتها وهي في منتصفها.

اشتبكت عينا فيرنا مع عيني الرجل الطويل ذي الصوت الهادر الواقف أمامها، كان عيناه قطعتان من الثلج، بلون سماوي باهت بدتا وكأنهما بلا لون بالنسبة لبشرة وجهه الوسيم كان كون برادلي يرتدي بزة بنية أنيقة تتناسب في روعة مع طوله وبنيانه.. لكن عيني فيرنا لم تستقرا إلا على شعره الطويل المنسدل تماماً مثل شعر ذلك الرجل الذي كان معها ذلك الصباح!! تأملت عينيه مرة أخرى لعلها تلمح فيهما بصيصاً من النور، لكن عينيه كانتا شاحبتين ساكنتين كصفحة جليد

القارة القطبية! لا شيء فيهما!! فقط كانت هناك شبح ابتسامة ساخرة على طرف فمه لم تفصح إلا عن أقل القليل.

وكأنه لمح ذلك التوتر الذى كاد ينشب أظافره فى عقلى رئيسة تحريره وكاتبه، أسرع ريج ويليامسون يقدم أحدهما للآخر ويقترح عليهما التوجه للمائدة ولم ينبس كون ببنت شفة إلا بعد أن جلسوا إلى المائدة وصفت أمامهم أكواب عصير القصب الذى تشتهر به المدينة.

خاطب ريج فقط قائلاً:

- آسف لتأخرى هكذا يا زميلى القديم، لقد جاءتنى مكالمة هاتفية وأنا على وشك التوجه للمطعم، ولم يكن بوسعى تفادى التأخير.

رد ريج فى مرح:

المهم أنك هنا الآن كيف حال أعمالك أتمنى أن تكون بخير؟

أجابه كون قائلاً:

- تسير ببطء لكن بثقة.. كما تعلم فكل الأمور تسير فى البداية هكذا، وستتحسن الأحوال مع مرور الوقت.

رد ريج فى سرعة:

- هيه!! هل فكرت فى موضوع العمود هذا يا عزيزى؟

وقالت فيرنا لنفسها إن ريج لا يضيع وقتاً ونظرت إلى كون لترى كيف يكون رد فعله وتقلقلت نظرات الرجل الطويل لتصطدم بنظراتها على نحو جعل الدماء تتجمد فى عروقها ثم حررها من نظراته وخاطب ريج قائلاً فى حرارة:

- دائماً متعجل يا ريج!! إنك لم تتغير منذ أن كنا فى كوينزلاند ليس لديك صبر بالمرة!!

أجابه ريج فى ارتباك:

- إننى فقط ظننت أن..

قاطعه كون قائلاً فى خفة:

- أننى سأنظر إلى سحر السيدة جرانت وأفتن به فى الحال وأستسلم دون شك لكن ليس الأمر بهذه السهولة يا صاح خصوصاً وقد سمعت حكايتها العنيفة إلى حد ما لست متأكداً بالمرة من أننى قد أحب التورط مع جريدة رئيس تحريرها "غولة حقيقية".

اندفعت فيرنا تقول:

- أوه!!! لكننى لست..

لكنها لحقت بنفسها قبل أن يفلت شيء آخر من لسانها لقد قررت بالفعل من قبل أن تدع الرجلين يحلان مشاكلهما بنفسيهما وأن تبقى هى سامتة إلى وقت لاحق.

لكن كون سألها فى تهكم:

- لست غولة؟ تتطلقين فى منتصف الليل وتتهجمين على سباح مسكين وتسرقى سرواله وتعذبينه حتى تعيديها إليه.. بعد كل ذلك تريدينى أن أصدق أنك امرأة طيبة القلب؟! لا يا آنسة جرانت.. قد أكون ساذجاً لكننى لست مغفلاً.

ردت فى حماس:

- لكن ليس لذلك علاقة بكفاءتي الصحيفة.. أنني لم أسرق سرواله بل كلبتي هي التي فعلت ذلك ولا تستطيع أن تلومها كثيراً إذ أنها لا تزال صغيرة جداً وغير مدربة بشكل جيد بعد.

خشخش صوته قائلاً:

- هكذا إذاً؟ أخبريني يا آنسة جرانت هل تعلمين القاعدة الأولى والذهبية لتدريب الكلاب؟

قلبت فيرنا عقلها رأساً على عقب تفتش عن الإجابة لكنها لم تجد شيئاً واضحاً ومحدداً.

أجابته في استسلام:

- حسناً ليس هناك شيء محدد في عقلي الآن.

حدق فيها كون للحظات في صمت كانت تدرك أنه يزيد من الإثارة والترقب الذي وقعت فيه.

أخيراً تكلم قائلاً:

- إن أول وأهم قاعدة يا آنسة هي.. أن تكوني أذكى من الكلب.

احتقن وجه فيرنا وانتفخت أوداجها خجلاً لكنها تحاملت على نفسها أخيراً وأجبرت صوتها على أن يبدو هادئاً وهي تقول:

سأحاول أن أتذكر ذلك جيداً يا سيد برادلي.

وكافأها على مقولتها بابتسامة رضا ولحسن الحظ أتى النادل لحظتها ليسألهم عما يودون تناوله من طعام ووجدت كون يسألها فجأة:

والآن ما رأيك في موضوع العمود هذا يا آنسة جرانت؟

أجابته في صراحة قائلة:

- ستكون احتمالات نجاحه كبيرة جداً، لو أحسنت التعامل معه لكنني بالطبع لا أستطيع أن أحكم قبل أن أرى عينة اليوم كذلك؟

قال في جد:

- هكذا يجب على رئيس التحرير أن يكون ديكتاتوراً أو أقرب ما يكون للديكتاتور لقد كنت كذلك عندما كنت أتولى هذا المنصب.. وكذلك كنت أنت يا ريج لكن.. ليس كل ما يتمنى المرء يدركه، أليس كذلك؟ ولست على استعداد للسماح لفولة تحرير كان في نبراته سخرية واضحة ولكن كلامه كان واضحاً كذلك.

وتابع كون قائلاً:

- إنني حتى على استعداد لاقتراح حل وسط، قد يدهشك غمغمت فيرنا تقول:

- لم أكن أتخيل أنك رجل يقبل الحلول الوسط يا سيد برادلي.

رد عليها بواحدة من ابتساماته التي أصبحت الآن مألوفة بالنسبة لها قائلاً:

- وأنا كنت أتخيل أنك ستكونين أكثر كرماً وسعة صدر يا آنسة جرانت. أم أنك لا تكونين أكثر كرماً إلا إذا كنتِ أنتِ المسيطرة على الموقف؟

كان يلمح لما حدث على الشاطئ ولكنها عزمت على ألا تبتلع الطعم

الذى ألقاه لها هذه المرة..

قالت فى رزانة:

- ربما أكون كذلك عندما أسمع شروطك.

رد فى مرح:

- حسناً! واحتراماً لمبادئك التى أقدرها فأنا أقبل بحقك فى التحرير حسب الأسلوب الذى ترينه لكننى أصر وبشدة أن تكونى المسئولة على المحتوى مقصورة علىّ.. وعلىّ فقط.

ما سنختلف عليه هو الطول.. وفيما يخص هذه المسألة أحب أن أعرفك أننى لست على استعداد بالمرة لأن أرى مقالاتى تقص ويقتطع منها بزعم توفير المساحة، إلا فى حالات الطوارئ بالطبع هاك عرضى!

عندما انتهى من كلامه لم تجد فيرنا ما تفعله سوى أن ففرت فاها ذهولاً ولم تنبس ببنت شفة!!

وأخيراً قالت فى تلعثم:

- أنا لست.. أنا أيضاً..

كانت لا تدرى ما تقول ولم تجد ما تقول!!

ووجدت نفسها تقول فى بلاهة:

- شكراً لك يا سيد برادلى؟

لكنه صحح كلامها قائلاً فى غضب مصطنع:

- شكراً لك.. يا كون

تبعته فى خجل تقول:

- شكراً لك يا كون

وانخفضت عينيها فى خجل وهى تحاول السيطرة على تلك العاطفة العجيبة التى اكتسحت نفسها..

رد فى وقار ممزوج بالدعابة:

- وأنا فى خدمتك دائماً يا فيرنا سيصلك أول مقال ليلة غد، إذا كان ذلك مناسب بما يكفى لنبدأ أعمالنا هذا الأسبوع.

أجابته قائلة:

- بل عصر الغد.. الرابعة كحد أقصى، وإن كان ذلك مبكراً، إذ سيكون على ترتيب الأمور وفقاً لذلك لكن يمكننا دائماً الانتظار والبدء فى الأسبوع القادم.

- أجابها فى سرعة:

لا لنبدأ الآن.

وهز رأسه موافقاً.

وأضاف كون:

- إذا ميعادنا غداً ظهراً.

أجابته فى فرح:

- شكراً جزيلاً لك سيسهل ذلك الأمور كثيراً.

ابتسم ريج وقال:

- وأنا سعيد أن سويتما المسألة على هذا النحو.

وصلت الفطائر واستهل كون الحديث قائلاً:

- هل تعلم يا عزيزى ريج أن قصة فيرنا تذكرنى بقصة أخرى أعتقد أنها لا تقل إمتاعاً عنها..

رفعت فيرنا رأسها ونظرت إليه وهى تتناول فطيرتها فى تلذذ كان يحدث ريج باهتمام لكن نظراته لم تتحول عنها..

أضاف قائلاً:

- إنها فتاة عرفتها أو أكاد أعرفها وتخيل أنها هى الأخرى لها كلبة اسمها شيبا وقد كانت كلبة غريبة فعلاً! ولقد كانت تقول عنها إنها من نوع اسمه البوكسادور لكن الفتاة لا تقل غرابة عن كلبتها هل تعلم أنها من بين كل الأشياء الغريبة التى فعلتها أنها..

سعلت فيرنا بشدة وشحب لونها وارتعشت يدها وسقطت منها الفطيرة أرضاً ومعها كوب المياه..

وتاه عقلها وسط دوامة من الأفكار والخواطر التى اجتاحته ووجدت نفسها وقد تملكها ذعر شديد!!

لكنها لم تحرك ساكناً.. ولم تستطع الحركة ولا الكلام ولا التفكير!! كل ما فعلته هو أن ظلت متجمدة فى كرسيها تحدق فى الفراغ وكأنها محكوم عليها بالإعدام ينتظر المقصلة..

إنها صحفية.. مثلك يا فيرنا..

هجمت كلمات كون على أذنيها وأخذتها على غرة فظلت لثوان وكأنها لم تسمع ما قال..!

لكنه واصل حديثه وكأن حادثة إسقاطها للفطيرة وللكوب لم تقع، وفى عينيه شبح ضحكة ساخرة..

ونظرت إليه خفية تحاول أن تجد فى عينيه ولو خيطاً واحد ينقذها من شكوكها.. لكن عينيه كانتا كالعادة ساكنتين كصفحة بحيرة متجمدة!!

ترى.. هل هو؟ أم لا ربما يكون هو ويحاول اللعب بأعصابها.. وربما لا يكون هو وتكون مجرد مصادفة؟

والتفت كون إلى ريج واندمج معه فى حديث طويل عن ذكرياتهما الصحفية معاً.

نهضت فيرنا وتنفست الصعداء على الأقل سيعطيها ذلك الفرصة لالتقاط شتات نفسها وتسيطر على أعصابها التى بعثرها كلامه!!

وبعد دقائق قطع كلامه فجأة ووجدته يناديها قائلاً:

- أنا متأكد أننى قلت شيئاً ضايقك!!

ردت فى ارتباك شديد:

- أوه!! أبداً أبداً أعتقد أن خيالى.. عقلى ذهب إلى بعيد.. إلى أشياء كنت أفكر فيه.. وليست غلطتك بالمرة لقد سطح خيالى رغماً عنى..

تدخل ريج فى الحديث واقترح عليهما الانصراف.

استحسنت فيرنا الفكرة وقالت على عجل:

- أعتقد أننى فعلاً متعبة ومن الأفضل أن ننصرف الآن.

اقترح عليها ريج قائلا:

- إذا هيا بنا حتى أوصلك إلى منزلك.

لكنها بادرته فى سرعة وقالت:

- لا.. لا أنا بخير انصرفا أنتما وسأعود أنا إلى منزلى سيراً على قدمى أعتقد أننى بحاجة لبعض الهواء المنعش.

نظر إليها ريج فى ريبة لكن كون أسرع يقول:

- فكرة رائعة.. أعتقد أننى سأصحبك.

حاولت الاعتراض لكن دون جدوى جذبها من ذراعها ولوح بيده لريج يودعه وانطلقا.

خرجا من المطعم وسار كون إلى جوارها صامتاً لا يتكلم وبعد مسافة قصيرة توقفت والتفتت إليه قائلة:

- من فضلك أستطيع أن أكمل الطريق بمفردى كما أننى أحب ذلك يمكنك الانصراف.

التفت إليها مبتسماً وقال:

- لكنك طبعاً لن تحرمينى من رؤية كلبتك اللطيفة والتعرف عليها؟ لقد ظللت أتطلع إلى ذلك طيلة العشاء.

صاحت فيه قائلة:

من فضلك! يكفى ذلك.. إنك بالفعل قد..

لم تكمل جملتها عندما رأت تلك النظرات التى اكتست بها عينيه.. نظر إليها متعجباً وقال:

- ما الذى تريدين قوله؟!!

أحست بالارتباك من تعجبه لكنها ردت فى غضب:

إنك تعلم بالفعل ما أعنيه.

رد عليها فى هدوء:

- لكننى أؤكد لك أننى لا أعلم ما تقصدين هل تظنين يا فيرنا أننى يمكن أن أكذب على رئيستى؟!!

توقفت فجأة والتفتت إليه قائلة فى ضيق:

اسمع! لقد مللت هذه اللعبة السخيفة أنت تعلم وأنا أعلم أنك كنت أنت ذلك الرجل الذى قابلته على الشاطئ وأننى لم أحك للسيد وياماسون كل ما حدث، لذا يجب أن تكف عن تصنع البراءة!!

لدهشتها وجدته يقهقه قائلاً:

- الله الله!! يبدو أنها ستكون حكاية مسلية فقط قولى لى ما الذى حدث فى غارتك الليلية تلك؟

أجابته فى سخط شديد:

- إنك تعلم ما حدث جيداً.

أجابها فى برود:

- إذاً فلن تكون هناك مشكلة لو أخبرتنى بروايتك للأحداث فهناك جانبان لكل قصة كما تعلمين كما أننى مندهش من إصرارك على أننى ذلك الرجل الذى قلتِ لريج أنك سرقت سرواله وأتذكر كذلك أنك قلت له أنك لم ترى وجهه فلماذا تصرين على أننى هو؟!

ردت فى احتقار وامتعاض:

- حقاً؟ هل تظن أننى سأصدق بكل بساطة تلك الحكاية السخيفة التى رويتها لريج عن الفتاة التى قابلتها ولها كلبة اسمها شيبا، ومن نوع البوكسادور كذلك؟! قد أكون ساذجة.. لكننى لست مغفلة إلى هذا الحد لقد كنت تلمح إلى ما حدث طوال المساء.

رد بهدوئه المستفز:

إننى أشم رائحة ضمير يؤرقه الإحساس بالذنب، ومع ذلك فلم تخبرنى بعد ما الذى يفترض أننى فعلته.

ردت فى تجهم:

- لا.. كما أننى لن أفعل.

وطرأ على ذهنها فجأة احتمال ألا يكون كون برادلى هو ذلك الشخص الذى قابلته وربما تكون واهمة.

أضافت:

- لو كنت أنت ذلك الشخص، إذا فإنك بالتأكيد تعرف ما حدث، ولو لم تكن أنت، إذا فليس من شأنك أن تعرف.

أجابها فى بساطة:

- يفترض أن يكون ذلك من شأنى إن كنت سألام عليه..

كانا قد وصلا إلى المنزل واستدارت فى تلقائية ناحية البوابة وعند وصولهما اندفع ظل أسود والتصق بالبوابة من داخل المنزل يزوم ويعوى كانت الكلبة وكانت تتمسح فى البوابة بسعادة وتلعب بذيلها فى مرح.

ضحك كون وقال:

- إذا فهذه هى شيبا كلبة الحراسة وسارقة السراويل.. هيا تعالى هنا.. دعنى ألقى نظرة عليك.

كان قد مد يده وفتح البوابة وأخذ يربت على ظهر الكلبة التى أخذت تتمسح فيه بسعادة غامرة.

اشتاطت فيرنا غضباً من تصرف الكلبة معه. خصوصاً وهى تعرف كم هى عدوانية وحساسة تجاه الغرباء وأحست برغبة شديدة فى مهاجمة كون برادلى بنفسها فلربما عاونتها الكلبة فى هجومها!! لكنها نفضت عن رأسها الفكرة فقد كانت تعلم ألا جدوى من ذلك.

غمغمت فيرنا فى شخط:

- اللعنة عليك يا شيبا! المفروض أن تعضى ساقه لا أن تتمسحى فيه هكذا!!

ونظرت إليها الكلبة فى سعادة ثم عادت تلعق يد كون فى فرح.

اعتدل كون واقفاً وقال فى لهجة جافة:

رائع جداً.. لقد عثرت أخيراً على من يحبنى فى هذا المنزل..!!

٣- أمنا الغولة

فى الصباح التالى انهمكت فيرنا فى العمل لدرجة أنستها أحداث الأمس، وبدأت يومها بصداع خفيف ما لبث أن اختفى تحت ضغط العمل، وما أن حلت ظهيرة ذلك اليوم حتى كانت قد أنهت كل صفحاتها وأرسلتها للمطبعة باستثناء الصفحة التى ستحمل عمود كون برادلى.

وأحست بسعادة إلى حد ما أن جاء أول أعداد الجريدة تحت رئاستها أفضل من حيث التنسيق الفنى والمحتوى المعلوماتى، عن الأعداد السابقة التى كانت قد درستها من قبل وهى تعد لعملها الجديد.

كان يعمل معها فى الصحيفة اثنان من الصحفيين الشباب: ديف بيرجيس وجينيفر كوكس وقد كان كلاهما يفور حماسة وموهبة وبذلا مجهوداً خارقاً حتى يخرج العدد الأول كما أرادته فيرنا ولذا فقد كافأتهما بأن أعلنت عن احتفال صغير واصطحبتهما لتناول غداء صينى عند الظهيرة وقبل أن تغادر المكتب تركت على درجها الشعار الذى سيوضع فوق عمود كون الذى يدور حول المطاعم وكان الشعار عبارة عن كتكوت صغير يرتدى ببيونة ويضع نظارة مفردة على عين

واحدة وكتب تحته «مغامرات كتكت» وقد أفصحت فيرنا لهما عن إعجابها به وزانه ظريفاً وخفيفاً.

عندما عادت إلى مكتبها وجدت مظروفاً كبيراً كان يحتوى على أول مقالات كون وفى الميعاد المتفق عليه تماماً!

فضت المظروف وبدأت فى القراءة بابتسامة خفيفة ما لبثت أن تلاشت ثم تلون لونها بألوان الطيف كلها.. فى البداية أحمر وجهها وانتفخت أوداجها وارتفع حاجباها ثم انخفضا واخضر لون وجهها ثم اسود ثم اكتسى أخيراً بلون أبيض شاحب شحوب الموتى قرأته مرة ثانية.. ومرة ثالثة وفى كل مرة يتلون وجهها بألوان الطيف.. وفى النهاية لم تطق صبراً وأخذت المقال واندفعت خارجة على مكتب ريج ويليامسون، وسط ذهول رفيقيها الذين صدما من رد فعل رئيستهما التى كانت منذ دقائق قليلة باسمة بشوشة الوجه لا تكاد الأرض تحملها من الفرحة..!!

رفع ريج ويليامسون رأسه ونظر فى ذعر إلى فيرنا التى اندفعت إلى حجرته فجأة وقذفت المقال على مكتبه قائلة فى غضب هائل:

لن أنشر هذه القمامة فى صحيفتى واطردنى إذا شئت!!

بادرها قائلاً فى دهشة:

- حسناً.. حسناً أهدأى قليلاً.. علام كل هذه الثورة؟!

صاحت فيه:

- إنه عمود صاحبك القديم كون برادلى والذى يتوقع منى أن أنشره فى عدد هذا الأسبوع.. ولن أفعل.. لن أفعل لن أفعل لن أفعل!

أخذت تذرع المكتب جيئة وذهاباً أمامه وهى تكاد تنزع شعر رأسها غضباً.

ناشدها ريج قائلاً:

- اهدأى يا بنيتى قليلاً اهدأى اجلسى وانتظرى دقيقة حتى أقرأ المقال قبل أن تواصلى صراخك.

جلست على طرف أحد المقاعد ترغى وتزبد بينما أخذ الرجل يقرأ المقال.

فى البداية لاحظت أن حاجبيه يرتفعان متعاكسين تعجباً.. ثم لمحت نظرة رضا ومرح فى عينيه ثم تحولت النظرة إلى ابتسامة ثم تحولت الابتسامة إلى قهقهة عالية ثم انفجر أخيراً فى الضحك حتى كاد يسقط بكرسيه قائلاً:

- جميل.. جميل.. رائع.. هذا هو المطلوب.. كم أنت ولد رائع يا كون!! سيزيد هذا إعلانات المطاعم أضعافاً مضاعفة!!

لم تصدق فيرنا أذنيها وكاد يغمى عليها من الدهشة والغضب سألته فى حدة:

- لكن.. أنا.. نحن. ماذا؟ هل تتوقع منى أن أنشر هذه السخافات؟

ظهر الارتباك على ملامحه وأجابها:

طبعاً.. إنها نسخة رائعة سيكون أول أعدادك حديث المدينة بأسرها بعد أن يترك فى السوق بساعة.

ردت فى ارتباك أشد:

قاطعها مسرعاً يقول:

فيرنا!! لا تحملى الأمر على محمل شخصى إنها مجرد مزحة متقنة وظريفة أين حس الدعابة لديك يا فتاة؟ أقصد أنه قد يكون فيه تحامل عليك لكنك لا يمكن أن تنكرى أنه مضحك.. مضحك جداً.

ردت فى سخط:

مضحك؟!! هل أنا غولة ذات قرون تخرج النار من عينيها هل آكل الأطفال كفواتح شهية؟! هل أسخط من أغضب عليه وأحوله إلى ضفدع؟! هل أقف على أظافر يدى وآكل بأصابع قدمى عند تناول الطعام؟!!

ضحك وأجابها:

- هيه يا فتاة!! إنها دعابة.

ردت فى امتعاض:

- دعابة سافلة ومبتذلة ورخيصة ولن أنشر هذه القذارات فى صحيفتى.

رد قائلاً وقد زالت ابتسامته:

- هل تتوقعين من القراء أن يأخذوا الكلام على محمل الجد؟! خصوصاً مع تلك الصورة الجميلة المنشورة لك فى الصفحة الثانية؟ كيف وصلت إلى هذا المنصب بعد كل هذا السنوات فى احتراف المهنة وأنت بكل هذه الحساسية؟!

أحست بالخجل من انتقاده لكفاءتها المهنية، وقالت:

- إذا فأنت تصر على أن أنشره؟!

أجابها فى برود فوجئت به:

- بل إننى أنصحك بنشره لأنه مقال جيد للغاية، وكذلك لأننى واثق من أنك صحفية محترفة وتدركين أنه يجب على الصحفى أن يفصل بين مشاعره الشخصية وعمله وأن ينظر للأمور من وجهة نظر احترافية.

انصرفت فيرنا من المكتب فى صمت وإحباط شديد.

كان صمتها لأنها لم تجد ما تقوله رداً على ملاحظة ريج الأخيرة فإن الصحفى الجيد يجب أن يفصل بين مشاعره الشخصية وعمله.

صباح اليوم التالى كان أول أعداد الصحيفة قد صدر وحينما رأته فيرنا لم يخفف ذلك من شعورها بالاشمئزاز والإحباط وحاول ديف وجينيفر كثيراً أن يكتما ضحكاتهما عندما قرأ كل منهما المقال لكن دون نجاح كبير إذ لم يفلحا فى إخفاء ضحكاتهما المكتومة عن فيرنا التى عنفتهما قائلة:

- ماذا بكما؟! هل تجد أننى مضحكة إلى هذا الحد؟!

طأطأ رأسيهما خجلاً:

- لكن جينيفر تجرأت وأجابتها قائلة فى جبن:

إنه مقال جميل فعلاً.

وخففت تظاهرهما بالخوف منها من غضب فيرنا قليلاً.

ابتسمت وأجابتها:

- نعم، أعتقد ذلك لكن حينما أمسك بهذا البرادلى فلسوف يتأكد أن مقاله ليس جميلاً ولا ظريفاً إلى هذا الحد.

وفى صباح اليوم التالى، وكان يوم خميس، كانت حدة الموقف قد خفت كثيراً حتى إن فيرنا قبلت دعوة جارى فيشر على الغداء، رغم أنه عزمها قائلاً:

- هل تتكرم علىّ أمنا الغولة وتقبل دعوتى على الغداء؟

وكان جارى فيشر رجلاً طويلاً وأنيقاً يبدو من منظره فيلسوفاً أكثر منه مندوب إعلانات ترقى بكده فى عمله حتى وصل إلى منصب مدير قسم الإعلانات بالصحيفة، ولكنه ذو شهرة واسعة على مستوى المدينة كلها وتسعى وراءه الصحف ليعمل بها.

كان واضحاً أن جارى معروف فى المطعم الذى اصطحب فيرنا إليه إذ رحب به صاحب المطعم فى حرارة وكذلك زوجته.. وعندما قدم فيرنا إلى الرجل أومأ برأسه قائلاً:

- آه!! أمنا الغولة!!

ووافقته زوجته بإيماءة من رأسها ونظرة ذعر فى عينيها وكأن أمنا الغولة على وشك الانقضاض عليها والفتك بها!!

وازداد الأمر سوءاً عندما جلسا إلى الطاولة وطلبا الطعام. إذ كانت هناك مجموعة من السيدات العجائز يجلسن حول إحدى الطاولات فى الجانب الآخر من الصالة؟ وكن يتحدثن ويتهامسن فى سعادة إلى أن همست إحداهن بشىء ما إلى رفيقاتها فأسرعت كل واحدة منهن إلى حقيبتها تبحث عن نسختها من الصحيفة وأخرجتها ونظرت إلى

صفحة معينة ثم انفجرن فى الضحك والنكات وكانت تعليقاتهن تصل إلى مسامع فيرنا إذ كن يتكلمن بصوت عال لضعف أسماعهن..!

وسمعت فيرنا إحداهن تقول:

- ولكنها لا تشبه الغولة!!

كادت فيرنا تهب من مكانها وتطلق ساقيها للريح لولا اعتزازها بنفسها وخوفها على صورتها فى عيون الضيوف الموجودين فى المطعم.

بدا جارى سعيداً ومال ناحيتها هامساً:

ستصبحين مشهورة كلها أسبوعين آخرين مع هذه المقالات وسينشا المعجبون بك نقابة لهم تدافع عن حقوقهم! ستتدفق إعلانات المطاع على الصحيفة وسأغرق فيها حتى أذنى.

ردت غاضبة:

- إذا لا تندهش وتتحسر إذا أضعت عليك تلك الفرصة فلن أجلس مع كون هذا فى غرفة واحدة، فضلاً عن تناول الطعام معه.

رد قائلاً فى خفة:

- لا تكونى حساسة إلى هذه الدرجة يا عزيزتى كونى صريحة م نفسك واعترفى بأنه جعل الصحيفة حديث المدينة كلها؟ وأنا المستفيد الأكبر مما فعل لو كان يكتب عنى أنا لكنت عرضت عليه بار أحاسب له على الفداء مرة فى الأسبوع.

أجابته فى ضيق:

- تفضل، خذه كله لك فأنا شخصياً لا أحب أن أكون أضحوك

الناس لرفع مبيعات الصحيفة وسأفضل الموت جوعاً على أن أمنحه فرصة أخرى للسخرية منى فى جريدتى!

وصل الطعام وبدأ يتناولاه فى صمت وبعد لحظات أحست فيرنا أن الصالة كلها تغرق فى صمت عجيب فرفعت رأسها نظرت حولها كان كل من فى المطعم ينظر إليها فى دهشة.

همست إلى جارى قائلة فى دهشة ممزوجة بالحنق:

- يا إلهى! هل يتوقعون منى أن ألعق طعامى مثل الكلاب؟

كان يأكل طبقه من الجمبرى فى تلذذ واستمتاع شديد.

أجابها قائلاً دون مبالاة:

- ربما.. إن الناس تميل إلى تصديق ما يقرؤونه فى الجرائد ربما لو وزعت طبق الحساء على الأرض و..

أوقدته نظرة نارية من عينى فيرنا فقطع جملته واستأنف طعامه فى قلق..

قال لها معتذراً:

- آسف لقد تجاوزت قليلاً، هل تحبين أن تنصرف؟

ضغطت على أسنانها وأجابته:

- على جثتك سيزيد ذلك الأمر سوءاً لا سأبقى وسأريهم أفضل ما لدى من ذوق ورقى فى تناول الطعام وليذهبوا جميعاً للجحيم!!

ابتسم قائلاً:

- رائع يا فتاة إن مبدأى هو ألا تستسلم للأوغاد مهما حدث.

لكن.. أن تقوله شيء، وأن تفعله شيء آخر.. سقط كوب الماء من يدها وانسكب الحساء على مفرش الطاولة حتى قطعة اللحم، عندما حاولت إمساكها بالشوكة قفزت هاربة منها إلى وجه أحد الزبائن!! ولم تنته الوجبة إلا وكانت ثيابها ملطخة بسيمفونية من البقع من مختلف الأشكال والأصناف.. مياه، عصير، حساء، حساء الخضار، زيت، وكل ما لذ وطاب ولم تستطع أكله، لكنه استطاع إضافة لمسة جمالية على ثيابها ووجهها.. وثياب جارى أيضاً!! ومما زاد الطين بلة أنها وجدت كل من حولها وقد كف عن تناول الطعام وظل يحدق فيها فى دهشة.. بعضهم يصفق، والبعض يلقى بالقفشات والنكات حول أسلوب أمنا الغولة الراقى فى تناول الطعام..!!

بعد ذلك بعشرين دقيقة، كانت فيرنا تجلس إلى مكتبها مستندة بكوعيها عليه ووجهها بين راحتيها وعيناها تمطران الدموع فى سخاء كانت قد صرفت جينيفر وديف فى غضب وأغلقت باب المكتب وجلست هكذا بمفردها تبث فى البكاء همومها وإحساسها المر بالإهانة.

وبعد قليل تمالكت نفسها وفتحت الباب وانهمكت فى عملها بروح انتقامية، ليس فقط فى تلك الظهيرة، ولكن طيلة أيام الأسبوع حتى أضحت صورتها كغولة واقعاً لا خيالاً صحفياً!!

وفى منزلها لم يكن الجو ألطف عندما خلت إلى شيطانها الأسود الكلبة شيبا كما سماها كون برادلى فى مقاله، وأخذت ترتب فى ذهنها المؤامرة تلو المؤامرة للانتقام من كون برادلى الملعون!!

بحلول الاثنين التالى كانت فيرنا قد استعادت كثيراً من طبيعتها السابقة اللطيفة توزع ابتساماتها فى سخاء على العاملين معها حتى إنها هنأت جينيفر على نجاحها فى إنجاز تحقيق صحفى صعب بعض الشيء إلى أن حل منتصف النهار أو إن شئت الدقة حتى الواحدة ظهراً عندما عادت من تناول غدائها ووجدت جينيفر تجلس إلى مكتبها وعلى وجهها تعبير غريب بالنشوة والفرح.

قالت لها جينيفر فى صوت حالم:

- السيد برادلى كان هنا.. لقد ترك لك رسالة لا أدرى لماذا تكرهينه إلى هذه الدرجة.. إنه وسيم جداً و.. و.. كل شيء!!

أجابتها فيرنا فى وقار مصطنع:

- عندما تصبحين فى مثل سنى يا طفلتى العزيزة، ستدركين أن الوسامة لا تعنى شيئاً.

قالتها وهى تتقمص شخصية العمة العجوز التى تنصح ابنة أخيها الصغيرة.

وقد كانت جينى فعلاً فتاة صغيرة بريئة لم تتجاوز العشرين من عمرها.

جلست إلى مكتبها وتناولت الورقة التى تركها لها كون وقرأتها:

- كنت أتمنى أن أدعوك للغداء لكننى لم أجدك.

كومتها بيديها وألقتها فى سلة المهملات وهى تغمغم قائلة:

- أتمنى جوعاً أو أضع لك السم فى الحساء قبل أن أقبل دعوتك!

تناولت المظروف وفضته لتقرأ مقال هذا الأسبوع أخذت جينيفر تراقبها فى اهتمام وهى ترى غضبها يتصاعد وخوف جينيفر يتصاعد حتى وجدت فيرنا تصيح فى سخط هائل:

- حقير! حقير! حقير!

ولت جينيفر فراراً وكادت فيرنا تتجه إلى مكتب ريج ويليامسون لولا أن تذكرت أنه فى بريسبان لمهمة عاجلة جلست إلى مكتبها مرة أخرى وأخذت تعيد قراءة المقال وهى تنازع نفسها حول إلقائه فى سلة المهملات.

كان هذا المقال يدور حول ما حدث لها أثناء تناول الطعام مع جارى فيشر فى المطعم يوم الخميس، ولم يأل كون جهداً فى ترسيخ صورتها كغولة فى أعين القراء: وكيف أنها أوقدت الشموع فى المطعم بألسنة النار التى كانت تنفثها من أنفها، وكيف تشاجرت مع النادل لعدم وجود ديناصورات مشوية على قائمة الطعام، وكيف أنها أكلت قطعة فريدة من اللحم.. فريدة لدرجة أن القطعة أخذت تتقافز فى وجوه الحاضرين فى مرح وسعادة!! كذلك لم ينس أن يصف الإنجازات التى حققتها فى سكب الماء والحساء والعصير وكل ما استطاعت من مشروبات وسوائل حتى ظن بعض الزبائن أنهم يجلسون فى إناء من الحساء لا مطعم راقٍ!!

عادت جينيفر إلى المكتب فى حذر وجلست أمامها وسألتها فى حذر قائلة:

- هل يمكننى أن أقرأ هذا المقال؟

أجابتها فيرنا فى حدة:

- لا! لا يمكن!

نظرت إليها جينيفر وصاحت فى غضب:

- لكننى من حقى أن أقرأه!

رمقتها فيرنا فى دهشة ولما وجدت تعبيرات وجهها تنطق بالضيق والسخط على تعنتها معها سلمته إليها فى استسلام وأخذت تراقبها فى اهتمام وهى تجد سرورها يزداد ويتصاعد حتى انفجرت جينيفر أخيراً فى الضحك وقالت وهى تعيد المقال إليها:

لقد كان طبق المحار لذيذاً جداً على ما يبدو.

حدجتها فيرنا بنظرة صارمة من عينين تكادان تخرجان من وجهيهما غضباً. حاولت جينيفر أن تكبت ضحكاتها لكن فيرنا لمحت كيف ابتسامة على طرف شفتيها ووجدت شفتيها بدورهما يلتويان والابتسامة تتسلل إليهما.. وفى النهاية لم تستطع الفتاتان السيطرة على مشاعرهما أكثر من ذلك وانفجرت الاثنتان فى الضحك..

وأقسمت فيرنا من وسط ضحكاتها الهستيرية قائلة:

- لكنه سيدفع ثمن ذلك.. لست أدرى كيف، لكننى سأجعله يدفع ثمن كل ذلك، لو كان ذلك آخر ما سأفعله فى حياتى ذلك الخنزير!! سأقبل دعوته على الغداء لو دعانى مرة أخرى، لأضع له السم فى الطعام أو أقذف الفلفل الحار فى وجهه أو شيئاً من ذلك.

إياك أن تفعلى شيئاً فى لحظة ثهور.

أتاها صوت جارى من على عتبة الباب وأضاف:

- لقد زادت إعلاناتنا هذا الأسبوع ثلاثة أضعاف، ولا تزال المكالمات تنهمر على كالمطر للاستفسار عن إمكانية الإعلان فى عدد الأسبوع القادم.

ستجدين نفسك مضطرة لزيادة عدد صفحات الجريدة إلى أربع وعشرين صفحة فى الأسبوع القادم، إن كان ذلك سيوضح لك الصورة أكثر.

أجابته فيرنا فى ذهول:

- لابد أنك تمزح!!

رد فى برود وهو يقرك كفيه:

- إننى لا أمزح أبداً فيما يتعلق بالمال.

كان يرسم على ملامحه وقاراً وجدية أكثر من اللازم جعل فيرنا تشعر بأنها على وشك الانفجار فى الضحك مرة أخرى.

بعد ذلك وفى مساء ذلك اليوم اصطحبت فيرنا كلبتها شيبا فى نزهة على الشاطئ وحاولت قدر ما تستطيع تجنب البقعة التى شهدت واقعتها المؤسفة مع كون ذات فجر أحد الأيام ثم اكتشفت أنه من الغباء أن تفعل ذلك إنه مجرد التفكير فى تفادى تلك البقعة يعيد إلى ذهنها تلك الواقعة حية وكأنها تعيشها مرة أخرى.

لذا فقد قررت أن تتنزه أينما شاءت على الشاطئ.. ولتقابل كون برادلى أو لا تقابله وليذهب إلى الجحيم بسخافته!!

وظلت تكرر نزهاتها عدة ليال متتالية وذات ليلة استيقظت فى الرابعة فجراً وقررت الخروج للتنزه على الشاطئ متوجهة إلى ذات البقعة المشؤومة.. وكأنها تود لو تقابله لتنتقم منه. مرت ساعة وساعتان ولم يظهر أحد وضاع ترقبها وتوجس شيبا من كل ظل يبدو أمامهما سدى عادت إلى المنزل، وكانت الشمس قد أشرقت، توجهت إلى المطبخ لتعد طعام الفطور.

فتحت الباب وانتصب شعر رأسها ذعراً كان كون فى المطبخ واقفاً يحدق فيها بعينيه الثلجيتين..!

سألته فى غضب:

- ما الذى تفعله هنا بحق الجحيم؟

انحنى على شيبا وأخذ يربت على ظهرها فى لطف ورقة ثم أجابها فى هدوء مستفز:

- إنا محظوظ أنك لم تدعينى على الفطور لأن البيض يحترق يا آنسة

استدارت فى حدة لتنقذ ما يمكن إنقاذه من البيض الذى كان يحترق فعلاً على الموقد!

صاحت فيه كالدجاجة المذعورة:

- لكنه لم يحرك ساكناً وظل واقفاً يستند إلى الثلاجة..

قال فى هدوء:

- أعتقد أنه من الأفضل أن تتلقى الحرارة تحت البيض..

انسالت دموع الغضب من عينيها وأسرعت تختطف إناء البيض وتحاول أن تقذفه فى وجهه لكنه وثب كالفهد وأمسك بذراعها فى قوة قبل حتى أن تحرك الإناء من مكانه.

وبخها قائلاً فى تهكم:

- اهدأى هل هذه الطريقة المثلى التى تقابلين بها رجلاً أتى ليعرض عليك نزهة فى الريف مع وجبة غداء لذيذة؟!

صاحت فيه بصوت بدا أشبه بصوصوة الدجاج:

- اذهب للجحيم!

رد فى هدوء:

- سأذهب لكن بشرط أن نعود كل صباح الغد لدى مقال الأسبوع القادم لأكتبه.

صرخت فيه قائلة:

- ومن أجل هذا ! لمقال الملعون تدعونى الآن لكى تجهز غارتك القادمة علىّ ما الأمر؟ ألا تجد شيئاً آخر فى خيالك المريض غير لتكتب عنه؟!!

كانت الدموع تنسال من عينيها فى غزارة.. نظر إليها وهو لا يكا يصدق ما يراه ثم غمغم قائلاً:

- يا إلهى! هل أخذت موضوع "آمنا الغولة" على محمل شخصى!!

أضاف فى فرح ظاهر:

- أجل.. أجل إنك تحملينه على محمل شخصى!

رأت وجهه يذوب فى نوبة من الضحك الشديد فاستجمعت كل قواها وركزتها فى يدها وصفعته بكل ما أوتيت من قوة على وجهه فانتفض واصطدم بالثلاجة وفى الحال تحول ضحكه إلى غضب ثلجى وأخذ يرمقها دون أن تتحرك عضلة واحدة فى وجهه انكمشت فيرنا فى نفسها خوفاً من رد فعله لكنها عندما وجدته لم يفعل شيئاً واصلت هجومها السابق:

وماذا تظن أننى سأعتقد غير ذلك؟! كيف لا يمكننى أن آخذه على محمل شخصى وقد جعلتنى أضحوكة المدينة كلها؟! وإياك أن تقول لى أنك لم تتعمد ذلك فلن أصدق ولو أقسمت لى بكل ما تستطيع من أيمان إنك فعلت كل ذلك عامداً لتهيننى وقد نجحت فى ذلك لعنك الله، لكنى سأنتقم منك مهما كلفنى ذلك.

ظل كون طيلة كلامها واقفاً يتأملها فى صمت.

إنك تأخذين الأمور بجدية لا تصدق.. لا عجب إذن أن ظللتى عانساً كل هذه السنوات!!

٤- هى وصاحب المظروف

قضت فيرنا بقية نهار الأحد مشغولة بتنظيف المنزل وهى تحاول أن تهرب من آلامها النفسية وتتخفى خلف المجهود البدنى التى راحت تبذله بسخاء فى التنظيف كان مجرد ورود محاولتها الهجوم على كون برادلى على بالها تجعل التعب يسيطر على كيانها كله وظل الجرح الذى جرحها آلماً أنها كانت تشعر بأنها استحقت ما قاله حينها، وتراوحت مشاعرها بين الندم والملون بلون دموعها، والغضب الشديد من ذلك الرجل الذى استطاع توجيه مثل هذه الضربة المدمرة لاحترامها لذاتها.

وأخيراً وبعد طول عناء بزغ فجر الاثنين بعد ليل طويل كئيب فى المرآة إذ وجدت شخصاً لا تعرفه.. جفون متورمة وهالات سوداء تحت العينين ووجنتين شاحبتين بلون الإحباط والعجز!!

عندما ذهبت إلى الصحيفة لم يكن الأمر أقل سوءاً لم يتم إنجاز عمل واحد على نحو صحيح.. أخطاء.. أخطاء.. أخطاء!! ومع ذلك فقد كادت فيرنا تصعق عندما عادت إلى مكتبها ووجدت المظروف المألوف فى مكانه المعتاد على المكتب!

تناولت المظروف بأصابع مرتعشة وحدقت فيه لحظات فى شرود وامتدت يدها الأخرى تتحسس طريقها نحو فتاحة الخطابات.

كان نصل سكين الخطابات بارداً ورطباً نكأ شيئاً ما فى ذاكرتها فوجدت نفسها

ترمى المظروف والسكين فى سرعة على المكتب..

تجمعت حفنة من الدموع فى عينيها تستأذن حزنها فى النزول.. استجمعت شجاعتها مرة أخرى ومدت يدها فى بطء تتحسس المظروف والفتاحة فتحته فى حذر وأخذت تقرؤه فى ترقب وتوجس.. ما إن قرأت الفقرات الأولى حتى أحست بخيبة أمل وإحباط شديدين!

ربما لو كان كون برادلى صفعها على وجهها لكان أفضل مما تراه الآن.

لم يشر المقال إلى أمنا الغولة من قريب أو بعيد كان تقريراً عادياً مباشراً عن المطعم المختار، لا دعابة.. لا مرح.. لا شىء على الإطلاق! وأبعد ما يكون عن الطباع التى كانت فيرنا تعلم أن قراءها تعلقوا به وأحبوها! وأحست بجبل من خيبة الأمل والخذلان..

كانت رسالته واضحة للغاية: لقد أوضحتى لى الآن أنك لا تحبين طريقتى، إذا فإليك مقال على طريقتك!

وكادت فيرنا تبكى إنها لا شك تستحق مثل هذا العقاب.. وقد انعكس هذا الإحساس بالذنب على وجنتيها اللتين انتشرت عليهما بقع سوداء عديدة، وكذلك انعكس فى هذا الفراغ الرهيب الذى ملأ نفسها الموجعة بالأسى لقد كان الرجل على حق: إنها تأخذ نفسها بجد أكثر

كثيراً من اللازم.

وما آلمها أكثر أنها وجدت نفسها محبطة إلى هذا الحد من تصرفه وأدركت كم هو مهم رأيه بالنسبة لها.. كصحفى محترف، وكرجل أيضاً!!

نظرت إليها جينيفر فى تعجب ثم ما لبثت أن أخفضت عينيها عندما رأت وجه فيرنا الشاحب ودموعها المنهمرة.

التقطت فيرنا المقال وقرأته مرة بعد مرة مستحيل!

لن تستطيع، بل لن تجرؤ على نشره، على الأقل لن يكون ذلك إلا ظلماً فى حق المطعم الذى يتناوله المقال، صحيح أنه يحتشد بوصف متقن لأنواع الطعام وصنوف الخدمات التى يقدمها المطعم، إلا أنه ينقصه روعة المقالات السابقة.

يجب عليها أن تطلب منه أن يكتب المقال مرة أخرى بصياغة أخرى.

مضت خمس عشرة دقيقة كاملة قبل أن تتمالك أعصابها بما تقدر معه أصابعها المرتعشة على التقاط سماعة الهاتف وطلب رقمه.

وحتى عندما بدأ الهاتف على الطرف الآخر فى الرنين، لم تكن تدرى ماذا يمكن أن تقول وكيف تعتذر له.. إنها لم تتعرض طوال حياتها لمثل هذا الموقف، ولم تفعل قط شيئاً تعتذر عنه..

لمحت بطرف عينها حركة فى المكتب فوضعت سماعة الهاتف على الفور، إن الكلام إليه وهى بمفردها تماماً صعب بما فيه الكفاية فكيف وجينيفر لا تزال فى المكتب؟! صرفتها على عجل لتناول قدح من القهوة

وانصرفت الفتاة متعجبة من موقف فيرنا..

رفعت سماعة الهاتف مرة أخرى وطلبت الرقم لئن رفض مناقشة الأمر فسيكون ذلك أهون كثيراً لكنها حينئذ ستكون ملزمة بتفسير الأمر إلى ريج وجارى ماذا؟ ستشرح لهما سبب غضب كون؟!!

كادت سماعة الهاتف تسقط منها أرضاً بدأ الهاتف على الطرف الآخر فى الرنين.. مرة.. مرتين.. ثلاثاً.. وضعته مرة أخرى فى سرعة وأغلقت الخط إن الحديث إلى ريج وجارى أهون كثيراً من الاعتذار إلى كون برادلى. إلا إذا!!

لكن كيف؟

ولم لا؟ إنها بكل تأكيد تستطيع!

ربما يفلح الأمر هذا الأسبوع على الأقل.

وفيما بعد.. لتترك فيما بعد حتى يحين ما بعد.. المهم الآن..

كان اليوم التالى هو آخر موعد للمقال، لكن فيرنا وجدت الوقت كافياً لإضافة بعض الرتوش واللمسات الأخيرة عليه على الأقل ليبدو اعتذاراً مقنعاً.. أخذت تعمل أثناء استراحة الغداء رسمت صورة صغيرة لوحش ذى قرون وأنياب.. وأنثى أيضاً، من شعرها الطويل الذى انسدل وكانت أطرافه كأسنان الحراب كان الوحش يضع شريطاً من القماش حول جبهته وينفث النار باتجاه رجل مسكين يعدو هارباً منه أو منها: من أمنا الغولة واستغرقت بضعة دقائق حتى وضعت الرسم فى نهاية عمود المطاعم وعندما انتهت أخيراً تنفست ملء رئتيها فى ارتياح.

أرسلت الصحيفة للمطبعة ودعت ديف وجينيفر إلى تناول زجاجتين من الكولا على حسابها كان المشروب مثلجاً وظريفاً جعل فيرنا تشعر ببعض الانتعاش والتخفف من الحر الخانق داخل المكتب.

استأذن ديف متعللاً بموعد عمل ملح، بينما أصرت جينيفر على رد المزومة لفيرنا كانت فيرنا قد بدأت تشعر بشيء من المودة تجاه الفتاة الصغيرة والتي كانت تمثل بالنسبة لها حكمة تفوق سنها الصغير بمراحل، لكنها مع ذلك لم تكن على استعداد للتكيف مع الصراحة البالغة التي كانت تميز..

وجدتها تقول فجأة:

- أنا سعيدة لأنك ستصلحين أمورك مع كون برادلي هل فعلت شيئاً فظيعاً فعلاً معه؟

صمتت فيرنا من سؤال الفتاة، ولكنها كرهت أن تنهرها لتدخلها في شئونها الشخصية.

قالت وهي تأمل أن تنسى الفتاة الموضوع:

- .. نعم. هو كذلك على ما أعتقد.

لكن جينيفر لم تيأس وسألتها:

- إنك لا تريدين إخباري، أليس كذلك؟

هزت رأسها نفياً وقالت بابتسامة:

- إنه أمر.. شخصي إلى حد ما.

لكن الفتاة أصرت وسألتها:

إذاً لماذا هذا الاعتذار الكبير على الملأ؟

تورطت وجئتا فيرنا خجلاً..

لكن جينيفر لم تبالِ وتابعت:

أم أنه لا يتحدث معك مطلقاً؟

أصابت الفتاة كبد الحقيقة. لكن كيف تستطيع فيرنا أن تُعَبِّر عن ذلك، وبأي كلمات؟!

لم تجد ما تقوله سوى:

- حسناً.. اعتقدت أن الأمر سيكون أسهل بهذه الطريقة.

ردت جينيفر في شرود:

- أتعني أن أكون أنا أذكى من ذلك عندما أقع في الحب.

أسرعت فيرنا تجيبها في ذهول:

- لكني لست.. جينيفر! إنه شيء سخيف!!

أجابتها الفتاة دون اهتمام:

- حسناً يا إلهي انظري كم الساعة الآن! سأتأخر على الشاي!

وقفزت من مكانها وأسرعت تغادر المكتب تاركة فيرنا وسط دوامة من الأفكار المتلاطمة.

لا يمكن أن تكون قد وقعت في حب هذا الرجل! كان ذلك انطباعها الأول لكنه لم يدم طويلاً. وإنما سرعان ما حل محله إدراكها أنها قد وقعت في حب كون! إما ذلك وإما أنها على شفا حفرة من حبه..

والفرق؟.. لا يكاد يكون هناك فرق بالمرة.

إنها قد كتبت مقالة الاعتذار لتبين لها إقرارها بأنه كان على حق فى مسألة محتوى المقال وطريقة عرضه. لكن لا يمكن أن تتكر أن ما أزعجها إلى هذا الحد لم يكن بالقطع هو انتقاد لمواقفها المهنية، لقد كان لذلك ما يبرره، لكنه يأتى فى المقام الثانى.. إن ما آلمها فعلاً هو انتقاده لها.. كامرأة.

ظلت فيرنا تفكر فى الأمر طوال طريق العودة إلى منزلها كما ظلت لوقت طويل مستلقية فى فراشها بين اليقظة والنوم وكل ما حدث يهاجمها فى عنف وقسوة حتى استيقظت أخيراً صباح الأربعاء وقد حل بها التعب كل محل، بل إنها وجدت نفسها أكثر إرهاقاً منها عندما أوت إلى فراشها ليلة أمس..!!

فى طريقها إلى المكتب اصطحبت معها نسختها من الصحيفة وألقت نظرة على عمود مغامرات كتكت وحمدت الله أنه جاء خالياً من الأخطاء المطبعية كما ارتاحت كثيراً أن وجدت الرسم الذى وضعته بنفسها فى نهايته متناسقاً مع الموضوع.

وطوال النهار كانت محل تعليقات ونكات كثيرة من العاملين فى الصحيفة لكنها لم تشعر بأى توتر ولا ضيق من ذلك كما كانت تشعر فى السابق بل على العكس، فإنها قد شاركتهم تعليقاتهم وضحكاتهم فى مرح وسعادة وابتسامات صافية.. ولم يكن يهمها رأى أى شخص كان فى موضوع العمود، بقدر ما كانت تترقب رد فعل صاحبه ومن آن لآخر وكلما سمعت جرس الهاتف يرن كانت تستعد لما ستقوله لكون اعتذاراً وإصلاحاً.. لكن كون برادلى لم يتصل بالصحيفة ذلك اليوم..

ولا اليوم التالى، ولا اليوم الذى بعده، ولا حتى اليوم الذى تلاه!! ورغم أنها ألمحت إلى رفاقها فى المكتب بأنها ستلزم البيت طوال الأسبوع، على أمل أن يزورها بنفسه.. لكنه لم يفعل!! وعندما حل ظهر يوم الاثنين التالى كان التوتر قد بلغ بفيرنا مداه.

كانت قد أنهت إعداد الصحيفة كلها وتركت مكان العمود المخصص لكون خالياً لكنها لم تكن لديها أدنى ذرة من اليقين بأنه سيرسل مقاله الأسبوعى وكان الشك هو سيد الموقف ولكنها كانت على يقين تام بأنها لن تستطيع «تلفيق» مقال آخر، كالذى كتبته بنفسها فى الأسبوع السابق مستحيل أن تستطيع ذلك دون الخروج بنفسها إلى المطعم المحدد وجمع المعلومات الضرورية عنه.

مع اقتراب ظهيرة ذلك اليوم لم تطق البقاء فى المكتب أكثر من ذلك إنها لن تستطيع النظر فى عينيه الباردتين كالثلج مرة أخرى، فخرجت إلى محل لبيع العصائر والساندويتشات على الجانب الآخر من الشارع وفى مواجهة الصحيفة تماماً طلبت زجاجة من عصير المانجو البارد وأخذت تحتسيها فى شرود.. لو لم يحضر كون برادلى مقاله هذا الأسبوع فسيكون ذلك أفضل كثيراً صحيح أنها ستجد نفسها مضطرة للاعتراف لريج وجارى بأن الخطأ خطأها، لكنها بلا شك ستتدبر ذلك معهما إذا ما حدث لكن ماذا إن كتب مقالة أخرى مباشرة حال مقالة الأسبوع الماضى؟! .. بالتأكيد ستكون كارثة!!

أسرعت عائدة إلى المكتب وكانت الساعة قد تجاوزت الواحدة ظهراً..

- يمكنك الدخول الآن لقد كان هنا وانصرف.

هكذا فاجأتها جينيفر عندما وضعت قدمها على عتبة المكتب.

نظرت إليها فيرنا فى دهشة..

ابتسمت الفتاة وقالت:

- أجل لم يقل شيئاً.. لكنه بدا مسروراً وفرحاً رغم أن ذلك ليس إشارة قاطعة، من وجهة نظرك طبعاً.

هرولت فيرنا تجاه مكتبها وجينيفر فى أعقابها كانت تود أن تعرف بأسرع ما يمكن ما الذى كتبه كون برادلى هذا الأسبوع..

بدأت فيرنا قراءة المقال بوجه متجهم وعينين قلقتين وقلب يدق فى عنف. مرت جملة.. جملتان.. فقرة.. فقرتان.. ثم تتابعت الكلمات وانحلت عبوسات وجهها واحدة بعد الأخرى حتى تنهدت فى ارتياح هائل مع آخر كلمة من كلمات المقال.

بدأ مقاله بالاعتذار لجلالة أمنا الغولة أن اضطر إلى كتابة العمود بإصبع واحد.. ثم انطلق يجعل صورتها أسوأ وأسوأ وليختمه فى النهاية بأن ذكر أن أمنا الغولة ونظراً لوحشيتها فى تناول الطعام، فقد صدر فرمان ملكى بحرمانها من الذهاب للمطاعم للأبد كان المقال كله هجوماً شرساً على أمنا الغولة رئيسة التحرير لكن فيرنا أحبته ولم تصدق نفسها أن جاء المقال بهذا الشكل.. إذاً فقد قبل كون اعتذارها له على الملأ..؟ لكن ما الذى منعه من مواجهتها عندما جاء ليسلم المقال؟

لا شيء!! فلتنفض عن رأسها الانشغال بمثل هذه التوافه المهم أنه قبل اعتذارها وكل شيء بعد ذلك ممكن لئن فكرت فى الأمر مرة

أخرى أو توقعت منه فعل المزيد، فستفتح بذلك جراحها الآن مرة أخرى. فلتكتف بذلك الآن ولكل وقت آذانه ولئن ظلت طيلة الأشهر التالية تتسلم مقالاته وتقرأها دون أن تراه، فسيكون ذلك كافياً.. أحست برعشة تسرى فى أوصالها عندما جال بخاطرها أنها قد لا تراه مرة أخرى!!

ومع ذلك فقد وجدت أنه رغم قدرتها على الاعتذار كتابةً، إلا أنها لن تستطيع مواجهته والاعتذار له وجهاً لوجه كذلك هل سيمكنها استخدام صفحات الجريدة لتعتذر عن هجومها عليه بالسكين، كما اعتذرت عن هجومها على مقاله؟! إن ذلك يبدو رابع المستحيلات..

- هل يمكننى أن أقرأه الآن؟!

أتاها صوت جينيفر متسللاً تحت عباءة الشرود التى لفتها ناولتها إياه فتاة فى ابتسام.

[illegible] كثيراً أمنا الغولة عادت من جديد. عادت لتنتقم.

وعندما شقت الفتاة طريقها وسط كلمات المقال ضاحكة مكركرة وجدت فيرنا نفسها تشاركها فرحها وضحكاتها فى مرح وسعادة فأخرجت يدها فى سعادة لتحمل المظروف وتلقيه فى سلة المهملات أخذها لمست ورقة صغيرة بداخله أخرجتها فى حذر ونظرت إليها كانت رسماً كارتونياً يمثل أمنا الغولة والرجل الذى تطارده وبينما كان الرجل فى الرسم السابق يفر للنجاة بحياته، فقد رسمه كون الآن ينظر إلى الغولة نظرات كلها رومانسية ويخترق قلبه سهم كيوبيد الذى أطلقته الغولة من قوس تحمله..!!

إذاً فلربما يكون الرجل قد قبل اعتذارها وصفح عنها من كل قلبه فعلاً؟! أم أن هناك رسالة أخرى فى الرسم؟! هزت رأسها ونفضت عنها تلك الفكرة مفضلة الاحتمال الآخر الأجمل.. ألا يكون قد كرهها رغم كل ما حدث!!

أعطت الرسم لجينيفر لتراه غير مدركة لذلك التعبير الذى اكتست به ملامحها وفضحها أمام الفتاة التى أعادته إليها مرة أخرى لتذيل به مقالة هذا الأسبوع وعلى شفتيها ابتسامة وفى عينيها نظرة ذات مغزى..

ضحكت الفتاة وقالت:

ـ لقد بدا عليه الرضا الشديد من شيء ما إننى حقاً سعيدة لأجلكما.

لكن.. أليست هناك طريقة أخرى تسويان خلالها مسائلكما العاطفية هذه؟ إن الأمر قد بدأ يتخذ شكل الحب بالمراسلة!!

وانفجرت الفتاتان فى الضحك.. لكن ضحكات فيرنا كانت أعمق وأصدق.. لم يكن يشغل بالها كثيراً كيف سيسويان مسألة الكلام وجهاً لوجه هذه طالما أنه حدث.

قضت فيرنا عطلة نهاية الأسبوع فى دوامة من العواطف المتناقضة فهى تارة سعيدة نشوانة، وتارة غاضبة من نفسها، وتارة ثالثة غاضبة منه، وأحياناً حزينة على حالها وغارقة فى بحر من الإحباط. ولقد طاردت الشاطئ حيث التقيا كثيراً لكن.. دون جدوى وعندما حل يوم الاثنين كانت قد وصلت إلى حالة من الحزن وخيبة الأمل لم يكن

يستطيع مقال كون إخراجها منها..

تعال ديف بشتى الحجج ليظل بعيداً عن المكتب، وعن مزاج فيرنا المتعكر كذلك أما جينيفر فكانت أصلب منه وعزمت على أن تتدخل وتساعد فى حل المشكلة قدر جهدها.. كان اليوم هو يوم جينيفر فى البقاء فى المكتب أثناء استراحة الغداء وعندما استأذنت فى الحادية عشرة لقضاء بعض شأنها على وعد بأن تعود قبل الثانية عشرة، كانت فيرنا تشعر بأن الفتاة لن تفى بوعدها.

مرت الدقائق بطيئة متثاقلة وفيرنا وحدها لا تدرى ماذا ستفعل إن لم تأت جينيفر وجاء كون ربما لو جاءت الفتاة يمكن لفيرنا أن تواجهه، أما أن تواجهه بمفردها..؟

الثانية عشرة إلا الربع.. الثانية عشرة إلا عشرة.. الثانية عشرة إلا [illegible] أتاها صوت همهمات وجلبة العاملين بالصحيفة وكل منهم يجمع أغراضه استعداداً للانصراف لتناول الغداء..

الثانية عشرة وعشر دقائق، وعشرون.. ونصف وربما لن يأتى بالمرة، أخذت تخطط كيف ستنتقم من جينيفر الخائنة التى أوقعتها فى هذا الفخ وفجأة لم يدق جرس الهاتف ولم يعد إلى الصحيفة شبح عامل واحد!! لم يعد يهمها أن تترك الصحيفة خالية دون أن يبقى فيها أحد.

اختطفت حقيبة يدها ونهضت فى سرعة وكادت تتصرف لولا..

أعتقد أنك قد تأخرت قليلاً للذهاب لتناول الغداء؟ وهل ستتركين المكتب خالياً؟

اصطدم بأذنيها ذلك الصوت الجهورى المجلجل، كما كادت هى أن

تصطدم بصاحبه نعم إنه هو كون برادلى!!

أجابته فى تلعثم:

- لا.. ليس فعلاً.. جينيفر.. أنا.. هى..

مد يده ليناولها المظروف المعتاد ومدت يدها تتحسس طريقها ناحيته.. لم تقو أصابعها المرتعشة على الإمساك به، وربما لم تره أصابعها التى امتدت على غير هدى.. سقط المظروف أرضاً.. انحنى والتقطه ثم قال:

- لنجرب ذلك مرة أخرى؟ هيا خذيه؟

هذه المرة صوبت على الهدف جيداً. اختطفته ووضعته على المكتب فى سرعة وقالت دون أن تنظر إليه:

- شكراً.. شكراً لك.. يجب أن أنصرف..!

سألها فى هدوء:

- ألن تقرئيه؟

ردت على عجل:

- سيكون جميلاً.. أنا متأكدة اسمع يجب علىّ أن أذهب لقد تأخرت فعلاً.

سألها فى لطف:

- إلى أين أنت ذاهبة؟

كانت عيناه تتطلقان بأنه يعرف أنها تكذب.

أجابته فى سرعة:

- إلى.. إلى مصففة الشعر سأقصر شعرى فهو طويل جداً ولا يناسب هذا الجو الحار.

ابتسم قائلاً:

- على مثلى يخيل هذا الكلام؟!

سألته دون أن تنظر فى عينيه:

- ماذا تعنى؟!

أجاب باسماً:

- أعنى أنك لست ذاهبة لتقصرى شعرك لماذا لا تختصرى الموضوع واعترفى بأنك خائفة من مواجهتى، حتى هنا فى مكتبك؟

أجابته فى توتر:

- أنا لست خائفة من مواجهتك ولم أخاف؟

هز كتفيه قائلاً:

- لا أدرى لماذا تخافين؟

ثم ابتسم ابتسامة الذئاب وقال:

- ربما ليس خوفاً من أن أطلب منك الاعتذار عما فعلتِ معى.

أجابته وهى تتظاهر بالغضب:

- ولماذا اعتذر؟

رد فى هدوء:

- على أشياء كثيرة منها مثلاً التعدى على مقالى، رغم أننى أقر بأنك قد كتبت مقالاً رائعاً.

- شكراً لك.

أضاف قائلاً:

- ثم بالطبع على محاولتك عمل شرائح منى لتأكليها على العشاء، أم أنك نسيتى ذلك؟

- نسيت؟

وكيف يتوقع منها أن تنسى أكثر الأشياء التى فعلتها بغضاً إليها؟

أجابته فى ارتباك:

- لم أنس.. ثم، أجل، إننى آسفة جداً لذلك.

قالتها ولم تصدق أن خرجت منها بكل هذه السهولة..!!

رد فى وجوم:

- جيد أنك لم تنسى، لأننى لم أنس ذلك أنا أيضاً.

همست قائلة:

- ولا سامحتنى عليه..

لم تكن تقصده بها وربما كانت تخاطب نفسها.

لكنه التقطها وقال:

- هل تعتقدين حقاً أنك تستحقين أن أسامحك؟

همست فى صوت خفيض:

- ربما لا.

لم يسمعها فسألها:

- ماذا؟

رفعت صوتها قليلاً وقالت:

- لقد قلت: ربما لا.

سألها فجأة:

- فى أى ساعة ميعادك؟

أخرجها سؤاله المفاجئ من ذكرياتها الحزينة.

سألته فى دهشة:

- أى ميعاد؟

أحزنها ويئسها أنه استطاع خداعها بهذه السهولة.

تمتم كأنه يحدث نفسه:

- لما توقعت لا مصففة شعر.

لم تجد بداً من الاعتراف:

- حسناً ليس لدى موعد عند مصففة الشعر.

ابتسم وقال فى لطف شديد:

- لا أجد سبباً لهذا التوتر ومع ذلك فقد يخفف منه الغداء قليلاً ما رأيك هل ستأتين لتناول الغداء معى؟

ردت فى حرج:

- كنت أود كثيراً أن ألبى دعوتك لكننى أخشى أنه ليس هناك الكثير من الوقت كما تعلم فاليوم هو الاثنين وأمامنا عمل كثير لننتهى من طبع عدد هذا الأسبوع.. ربما فى وقت آخر.

قال فى هدوء:

- حسناً. وصلتنى الرسالة سأتركك حتى تنتهى من أعمالك كلها، لذا فلن يكون لديك حجة لعدم مرافقتى على العشاء اتفقنا؟

رفعت رأسها لتعترض لكنه لم يتح لها الفرصة لتفعل.

تابع قائلاً:

- وحيث أن الليلة هى السابقة على الميعاد الأخير قبل صدور العدد، فلا يجب أن نتأخرى كثيراً وذلك يناسبنى أنا أيضاً سأتى لألتقطك فى السيارة فى السادسة والنصف، وبهذا سيكون أمامك متسع من الوقت لتطعمى كلبتى المفضلة.

ثم ألقى إليها ابتسامة من ابتسامات المذهلة واستدار وانصرف.

٥- خفقات قلب

إنها غلطتك أنت يا شيبا

غمغمت فيرنا تحدث الكلبة التى دخلت إلى غرفتها وهى تهز ذيلها فرحاً وأضافت:

- لو كنتِ تركتِ سراويله فى حالها لما كنت تورطت فى ذلك، والآن وبعد أن وقعت فى حبه فأعتقد أنه لازالت أمامك فرصة لإصلاح الأمور.. عليك فقط أن تمضى ساقه!!

مدت يدها تعدل ياقتها وسمعت طرقات خفيفة على باب المطبخ.

هبت الكلبة وانتفش شعرها وانتصبت أذناها وصدرت عنها صوت غاضب خفيف.

صاحت فيها فيرنا فى مرح:

- ليس هذا هو الوقت المناسب أيها الغبية.

وابتسمت ثم كركرت فى سعادة عندما طرأ فى بالها أن الكلبة قد تكون قد فهمت كلامها.

فتحت الباب ودخل كون قائلاً:

- ما المضحك على هذا الحد؟ هل رابطة العنق التى ارتديها ملوية أم ماذا؟

كان ينظر إلى درج السكاكين فى حذر واستقبلته شيبا بحذر ثم أخذت تتشممه وعندما اطمأنت لرائحته أخذت تتمسح فى ساقه بسعادة فهقهت فيرنا فى سعادة وهى تشرح له سبب ضحكاتها عندما دخل عليها أجابها بابتسامة مرحة ثم أخذ يربت على ظهر شيبا ويقول:

لن تصدقنى أيتها الفتاة الشقية، أليس كذلك؟ ألا تعرفين كيف تلاعبين شخصاً دون أن يضطر للجلوس بجانبك هكذا؟!

اختطفت حقيبة يدها وادخلت الكلبة إلى قفصها وأغلقته جيداً وانطلقا.

وفى الطريق إلى بوندابورج وجدت فيرنا عينيها مشدودتين إلى الأضواء التى تلألأت على قمة الهاموك، وهو التل الوحيد الموجود فى منطقة بوندابورج وأدركت فى دهشة استغرقت لحظات، أن هذه هى المرة الأولى التى تمر فيها فى سيارة على الهاموك ليلاً، حيث يبدو فى الليل أعلى كثيراً منه فى النهار.

سألها كون وكأنه يقرأ أفكارها:

- أعتقد أنك لم تصعدى التل أبداً ولم تستمتعى برؤية المكان من فوقه؟

ردت فى دهشة:

- لا، لم يحالفنى الحظ أبداً فى الاستمتاع بالمناظر الطبيعية فى المكان.

ثم كتمت ضحكة جاهدت لئلا تفلت منها عندما بدأ يحكى قصة ذلك التل متقمصاً دور المرشد السياحى.

قال فى لهجة جادة:

- سيداتى وسادتى نمر الآن على مقربة من تل "الهاموك" والذى لا يزيد ارتفاعه على ثلاثمائة وستة عشر قدماً فقط، وقد كان فى مرحلة من المراحل بركاناً نشيطاً وبسبب هذا البركان فإن التربة حول بوندابورج تتميز بالخصوبة الشديدة ومن على قمة الهاموك، وعندما يكون الجو صحواً، يمكنكم رؤية "التشيلدرز" و«خليج هارفى» إلى الجنوب والجنوب الغربى، و«بورنيت هيدز» و«بارجارا» إلى الشمال والشمال الشرقى ويحيط بالهاموك من كل اتجاه حقول قصب السكر، وخلال موسم حرق القصب، يصبح المكان قبلة للجماهير التى تأتى من كل مكان لتشاهد عملية الحرق. ويوجد على قمة الهاموك نصب تذكارى أقيم تخليداً لذكرى أعظم طيارى بوندابورج الطيار «بيرت هنكلر».

قهقهت فيرنا ضاحكة وقالت:

- يا إلهى! إنك تجيد ذلك! ألم تفكر أبداً فى العمل كمرشد سياحى؟ ابتسم وأجابها:

- فقط فى أيام الفقر الشديد لقد تذكرت هذا الجزء فقط لأنه يذكرنى بمنطقة كاملة تحتضن تلاً صغيراً كهذا وأعترف بأن المنظر من على قمة التل منظر رائع، سنصعد لقمته فى طريق عودتنا، إن لم نعد متأخرين.

أجابته فى انفعال:

- أوه! أحب ذلك كثيراً!!

قهقه ضاحكاً وقال:

- ربما تغيرين رأيك لو عرفت أنه وكر للعشاق.

أجابته فى صوت خفيض حذر:

- قد يكون من الأفضل ألا نتجادل فى شىء بالمرة.

رد وهو يمط حروفه:

- سهل لكنه ممل ممل ممل وذلك آخر ما أتهمك به: أن تكونى مملة.

قالت فى هدوء:

أعتقد أنك تجاملنى، أليس كذلك؟ لم يكن ذلك رأيك فى من قبل؟

رد فى هدوء:

- لقد اقترحت ألا نتجادل؟ وها أنت تبدئين فى الجدال. إن كنت تريدين أن تتشاجرى فتشاجرى مع نفسك.

طال الصمت بينهما إلى أن بدأ فى الخروج من ضواحى المدينة والدوران حول البنيان الهائل البرج إيست ووتر المبنى من الصخر كان كون يقود فى حذر وحرص، لكن كان بإمكان فيرنا أن ترى ذلك الغضب الذى اكتست به ملامحه وبرزت بسببه عضلات فكه وأطبقت يداه على المقود فى عنف قالت أخيراً:

- آسفة. أخطأت فى ذكر ذلك الموضوع.

رد فى بساطة:

حسناً سأسامحك هذه المرة.

- ثم وكان شيئاً لم يحدث بالمرة اكتسى صوته بلهجة المرشد

السياحى مرة أخرى وقال مشيراً بيده إلى البرج المائى:

تم بناؤه عام ١٩٠٢ بتكلفة بلغ قدرها ألفاً وثمانمائة وواحد وتسعين جنيها وأربعة عشر شلناً وست بنسات ويبلغ ارتفاع البرج مائة وعشرين وبقطر داخلى يبلغ ثلاثين قدماً وحوائطه تميل للداخل بسمك يتراوح من أربعة أقدام وست بوصات إلى حوالى قدم واحدة تقريباً وهو تحفة فنية رائعة فى رص قوالب الصخور.

قهقهت فيرنا ضاحكة وقالت:

- إنك مدهش!! لابد أنك قد اخترعت هذه المعلومات.

تظاهر بالغضب وقال:

لا!! لم أفعل!! كل ذلك صحيح طبقاً للكتيب السياحى الذى تصدره السلطة المحلية. إننى مدمن لقراءة الكتب واكتساب المعلومات التى لا يجمع بينها رابط مشترك.

ردت فيرنا:

- لاشك ستستفيد منها يوماً ما أقصد هذه الكتب؟ أم أنك لا تبالى إلا بتعذيب الناس فى مقالاتك الرائعة؟

أجابها فى خفة:

- ذلك ما أحبه، معجبة أخرى مخلصة لكننى لا أحب الكلام فى العمل هذه الليلة لقد تكلمنا بما يكفى طيلة النهار.

انعرف بالسيارة إلى ساحة انتظار السيارات فى شارع بوربونج، ثم أوقفها فى مكان جيد أمام مطعم يسمى حديقة الطاووس.

قال وهو يخرج من السيارة:

- إننى أتطلع لتناول الطعام فى هذا المطعم، يقولون إنه يقدم أكلات صينية رائعة ثم استدار ناحية بابها وعاونها على الخروج من السيارة.

فى المطعم تناقشا قليلاً حول قائمة الطعام قبل أن تعترف فيرنا بقلة خبرتها بالأكلات الصينية.

قالت فى استسلام:

- سأضع نفسى بين يديك.

ثم ما لبثت أن ندمت على ذلك الاستسلام عندما وجدته يطلب أطباقاً متنوعة وعصى وأوانى معينة.

أضافت فى سرعة:

- لكننى لا أعرف كيف آكل بهذه العصى!

رد باسماً:

- هناك طريقة واحدة فقط للتعلم لا تقلقى لن أدعك تموتين جوعاً.

ردت فى تبرم:

- بالطبع لا كل ما ستفعله هو أن تجلس هكذا وتسخر منى طوال العشاء!!

ثم كعادتها أحست بالندم على هذا الرد الغاضب المتسرع:

رفع حاجبيه ثم قال فى أسى:

لابد أن هناك شيئاً ما يجعلك تخشين سخرية الناس منك، يا فتاتى العزيزة وذلك يجعلنى أتعجب كيف وصلتى إلى مكانتك

الصحفية هذه، مع هذا النفور الغريب من أى دعابة أم أنك لا تنفرين إلا عندما تكون الدعابة عنك؟

كان فى صوته من الجدية ما جعل فيرنا تقرر أن تتمالك نفسها قليلاً لن يفلح الأمر هكذا! سيكون من المستحيل الاستمتاع بهذه الأمسية إذا ظلت تتحفز هكذا لكل كلمة يقولها:

ردت قائلة:

- إننى لا أنفر من الدعابة بالمرة. لابد أن بيننا ما يقال عنه تصادم الشخصيات.

رد فى حدة:

ماذا!! لا تلقى باللوم على إذاً وليس ذلك تصادم الشخصيات بل هى عقدة الذنب تلك هى مشكلتك يا فيرنا إنك تشعرين بالذنب لأن كلبتك الصغيرة الشقية سرقت سروالى، أو هكذا تظنين وكذلك لأنك تظنين أننى أحمل سرك الكبير فوق رأسك مثل سيف مسرور.

لم تجبه ولم تستطع أن تجيبه وكل ما فعلته هو أن طأطأت رأسها ونظرت فى مفرش المائدة وهى تدعو الله ألا يكون سمعه أحد ممن فى المطعم.

لكنه أضاف:

- هيا.. اعترفى.

رفعت فيرنا رأسها فاصطدمت بعينين ثلجيتين تكادان تحرقان روحها.

سألته فى عناد:

- بماذا أعترف؟

رد فى برود:

- حسناً كبداية يمكن أن تعترفى بأنك كنت تخمنين فقط عندما اتهمتنى بأننى سباحك الغامض على الشاطئ.

ردت فى غضب:

لكنك لم تنكر ذلك أبداً حتى الآن..!!

رد فى نفس الهدوء السابق:

- ولا اعترفت به كذلك تذكرى خصوصاً وأنك رفضت فعلاً أن تقولى لى ما الذى فعلته بالضبط بافتراض أننى كنت ذلك الشخص وأزعجك إلى هذا الحد من ساعتها لا.. لا ذلك ليس عدلاً!

ردت فى نفس الغضب السابق:

- قلت لك بالفعل.. لو كنت أنت ذلك الشخص فأنت تعرف ما فعلت بالتأكيد، وإن لم يكن أنت، فليس هذا من شأنك!!

أجابها فى برود:

هل ترين؟ إنك غير متأكدة وذلك يعنى أنك تتمنين لو كنت أنا هو، أو لو لم أكن أنا أيهما إذاً؟

ولم تجد وسيلة أياً كانت للرد على سؤال هذا الرجل المستفز والذى تعنى الإجابة عليه أن تجد نفسها مضطرة لإخباره بكل ما حدث على الشاطئ ساعتها ثم.. ماذا إذا لم يكن هو ذلك الشخص؟

غمغمت فى ضيق وتبرم:

- لكننى أعرف أنك هو.

رد قائلاً:

إذاً فلن يضيرك شىء إذا أخبرتنى عما حدث، أم تحبين أن تتكلمى عن الموضوع الآخر أولاً؟

سألته فى دهشة:

- موضوع آخر؟

رد فى هدوء:

- أجل سرك الصغير ذلك السر الذى أخبرتنى به دون أن أسألك بعد أول عشاء لنا معاً لا تقولى لى أنك نسيته بالفعل؟

وابتسم ابتسامة كادت تخرج بسببها عن شعورها وتتخلى عن برودها الذى تتظاهر به عادت تطاطئ رأسها وتحدق فى مفرش الطاولة!

لكنه تابع قائلاً:

- إننى حقاً أود أن أعرف لماذا تتعاملين مع هذا الأمر بكل الحساسية مع أنه من الواضح أن ذلك كان باختيارك الشخصى انظرى يا فيرنا.. إن الزواج والحب قسمة ونصيب كما يقولون وليس معنى أنك قد بلغت الثامنة والعشرين من عمرك دون أن يتقدم أحد لخطبتك ودون أن تشعرى بالحب تجاه أى رجل، ليس معنى ذلك أن العيب فيك أنت لا، بل على العكس فأنت فتاة جميلة بل ورائعة.. نعم أنت شخصية جذابة وودودة وفيك الكثير من المميزات كل ما فى الأمر أن الله لم يأذن لك فى الزواج بعد.. نعم إنك فتاة رائعة!!

رفعت رأسها فى بطء لتنظر فى عينيه وترى ما فيهما.. ولدهشتها

وجدت نظراته جادة ليس فيها شبح سخرية أو دعابة!! لقد قال عنها إنها جذابة بل ورائعة!! لابد أنه يسخر منها!!

أضاف فى رقة بالغة:

- لا لست أسخر منك وأنت تعلمين ذلك.

وكأنه كان يقرأ أفكارها!! ورغم الغضب الشديد الذى تمكن منها أن وجدته يستطيع قراءة أفكارها بكل هذه السهولة، فإنها لم تملك إلا أن تقر بأنه لم يكن يسخر منها.

قالت أخيراً:

- نعم، أدرك ذلك وأعرف أننى حساسة تجاه ذلك الموضوع كل ما فى الأمر أن..

لمحت فى زرقة عينيه تعبيراً غريباً، وكأنهما مغناطيس يجذب الكلام من شفتيها ليتدفق فى سهولة ويسر وأخذت تحكى له، بعد شىء من التردد فى البداية، كل شىء عن تجربتها مع ستيفن وعن مشاعرها تجاه رجل خدعها وكذب عليها ثم قالت أخيراً فى مرارة:

- كان يسخر منى، ولم تكن سخرية مضحكة كان كمن يسخر من شخص أعمى..

أطلق كون من فمه وابلاً من السباب والشتائم لم تصدق فيرنا أذنيها عندما سمعته لفرط بذاءته ثم رأت الغضب يكاد ينطق فى وجهه وقبضة يده تشتد على مفرش الطاولة التى بدأت تهتز من شدة الثورة التى انفجرت داخله بالتأكيد لم يكن غاضباً مما قال، وإنما مما فعله ستيفن معها.

- أحياناً أخجل لما يفعله بعض المنتسبين لجنس الرجال.

قالها فى لطف ورقة بالغين حتى إنها لم تكد تسمع ما قاله نظرت إليه فى ود وتعلقت عيناها بعينيه فى عناق طويل ومضت لحظات أحست فيها فيرنا بأنهما وحدهما فى هذا العالم وألا شىء مطلقاً حولهما.. كانت نظرات البرود فى عينيه قد تلاشت وحل محلها نظرات حب وود ورومانسية جعلت عيناها تصرخان فى قوة أحبك.. أحبك.. أحبك وليسمع كل العالم وليعرف.. ما عاد شىء فى العالم يهم.. إلا حبك و..

ووصلت النادلة فجأة وودت فيرنا لو كان بيدها بندقية لأطلقت النار عليها.. هل هذا وقته؟!!

قال لها فى لهجة لم تعرفها من قبل:

- حسناً يا صغيرتى هذا الطبق عبارة عن دجاج فى ورق الأرز، وربما يكون غير مناسب لتبدأى تعلم استعمال عصى الأكل عند الصينيين لكنه أفضل طبق لتبدأى وجبتك به.

ثم نهض من كرسيه واستدار ناحيتها ووقف خلفها وأمسك بيديها ليعلمها كيف تأكل بهذه العصى العجيبة..

- هكذا العصى السفلية تظل ثابتة وتحركين العصى العليا فوقها.. هكذا.. لا تشغلى بالك بكم الأرز الذى يتساقط منك فعلى أية حال قد دمرت أسلوبك فى تناول الطعام على صفحات الجريدة.. هل تتذكرين؟

ابتسمت قائلة:

- وحتى لو لم تفعل فأعتقد أننى سأدمر بنفسى مع انتهاء هذه

الوجبة العجيبة.

وسقطت منها قطعة الدجاج للمرة الثالثة دون أن تفلح فى التقاطها!! وأخيراً أفلحت!!

ابتسم كون قائلاً:

- ألم أقل لك إنك ستنجحين؟! هيا كلى بالهناء والشفاء، فى صحة أمنا الغولة.

ردت باسمة:

- وفى صحة مؤلفها!!

ولدهشتها وجدته يقطب جبينه فى شرود. وخلال ما تبقى من الوجبة لاحظت أنه بدا متحفظاً إلى حد ما وكأن عقله مشغول بشىء ما واضطرت فيرنا أكثر من مرة لتكرار ما كانت تقوله، وفى النهاية وجدت أنه من الصعوبة مواصلة الحديث..!

وراح عقلها يتخيل أسباباً مع أسباب لموقفه هذا. من المؤكد أنه لاحظ نظرات الحب فى عينيها وبدأ يحس بالقلق منها طبعاً لأنه لم يتخيل الارتباط بفتاة تعلق آمالاً كثيرة على مثل هذه العلاقة، أكيد هناك فى حياته نساء كثيرات أفضل منها وأنسب لرجل مثله. حسناً، ذلك حقه لا يمكنها أن تلومه..! فقط لماذا تجد نفسها مدفوعة إلى حبه؟ ليس ذلك عدلاً.. أحست برغبة عارمة فى أن تركل الطاولة بقدمها وتبكى غضباً!!

٦- لست رجلاً يُحب

مع وصولها إلى المكتب كانت فيرنا قد أدركت الحكمة من وراء موقف كون، ووجدت نفسها ممتنة له لقوته وحكمته فى التعامل مع الموقف.

لكن ما أدهشها حقاً هو موقفها هى، تناولت كميات كبيرة من الطعام فى الإفطار واحتست عدة فناجين من القهوة وأحست بأنها قد بعثت للحياة من جديد!

أدركت كذلك أنها المرة الأولى فى حياتها التى تحس بالقرب الشديد من أى رجل، وبأنها عاشت لحظات معه فى عالم يشبه الأحلام وأنها لم تشعر بالندم لحظة واحدة على ذلك! لم تعد هى فيرنا التى كانت تعرفها أول من أمس كان ما أسماه هواجسها قد اختفت تماماً، وأحست بأنها ولدت من جديد لقد نضجت وكبرت بشكل ما وعلى نحو ما ورغم أنها كانت موقنة بأنها تحب كون برادلى بكل ذرة فى كيانها فقد أحست بأنه لم يعد ذلك الشبح المخيف الذى تراءى لها ذات فجر على الشاطئ بل أصبح يلعب فى حياتها دوراً أكثر تعقيداً على نحو غريب صديقها.. وحبيبها الذى لا تأمل أن يبادلها

نفس الحب.. ومع ذلك ستظل تحبه!!

جلبت لها تلك المعرفة سكينة تغلغلت فى أعماقها وانعكست على المكتب إذ تشبع ديف وجينيفر بشىء من هذه السكينة وأصبحا أكثر هدوءاً على نحو غير معتاد كل صباح.

رن جرس الهاتف فى الحادية عشرة صباحاً وسمعت صوتاً مجلجلاً يسأل:

- هل نتغدى معا اليوم؟

وجدت فيرنا الجديدة نفسها تنظر إلى كومة الأوراق على المكتب وتقول فى مرح:

لا أستطيع بكل أمانة، لكن سأطبخ لك عشاءاً لذيذاً لو انتظرت حتى السابعة، لقد تأخرنا قليلاً اليوم ونريد إنهاء العمل قبل الموعد الأخير.

ووجدت نفسها تضع السماعة بعد أن اتفقا فى مرح وتنهد فى رومانسية لم يفلتها رفيقاها فى المكتب وابتسما فى خبث:

صاحت فيهما فى غضب مصطنع:

- هيا أيها الشقيان، اذهبا تناولا غداءكما ساعة واحدة بدونكما وسأكون قد أنهيت كل أعمالى!

بعدها بوقت قليل كان كون واقفاً بباب مكتبها وفى يده باقة ورود حمراء جميلة حياها باسماً وناولها فى لطف وتناولتها منه وهى تشعر بسرب من الفراشات ترفرف بأجنحتها داخل قلبها.

تحدثا كيفما شاءا فى أمور شتى.. ولم تندهش فيرنا أن وجدت أن لهما أصدقاء مشتركين فى المهنة رغم أنها كانت تدرك جيداً أن كون قد ترك العمل بالصحافة فى ذات الوقت التى التحقت هى بها تقريباً.

تكلما عن الطعام والمسرح والكتابة والورود واعترفت له بأنها لم تقرأ إلا كتاباً واحداً من مؤلفاته وبأنه لم يعجبها كثيراً.. الكتاب طبعاً!! وابتسم متقبلاً نقدها بصدر رحب قبل أن ينهض ليلقى نظرة على أرفف كتبها ظل عدة دقائق يتأمل عناوين الكتب وأحست فيرنا بشىء من الانزعاج، إذ أن معظم الكتب كانت روايات عاطفية.

بعد لحظة استدار وعلى وجهه ابتسامة خبيثة ثم جلس على كرسى مريح حيث يستطيع أن ينظر فى مواجهتها مباشرة والنظر إلى عينيها.

قال عرضاً:

- أظن أنك لم تعجبى بكتبى.

نظرت إليه فى دهشة وقالت:

- صحيح لكن كيف..

قاطعها قائلاً فى هدوء:

- إنك لا تحتفظين إلا بالكتب التى تعجبك.

أومأت برأسها موافقة فى تعجب..

صمت برهة وبدا التوتر على ملامحه وأحست بأنه يجهز لقول شىء ما ويفكر فى الكلمات التى سيقولها لينتقيها بعناية..

قال فى بطء:

- حسناً.. حيث أننى أصبحت متورطاً فى معرفة أسرارك، هل تحبين أن تعرفى عنى سراً لا يعرفه أحد؟ على الأقل لنصبح متعادلين؟

أجابت قائلة:

- ليس ذلك ضرورياً.

ابتسم ابتسامة واسعة وقال:

- طبعاً ليس ضرورياً وذلك ما يجعل الأمر ممتعاً لكن عليك أن تعدينى أولاً بأنك ستحفظين سرى ما دمت أحفظ سرك.

سألته:

- إنك تحاول خداعى، أليس كذلك؟

بدا الأسى على ملامحه.

سألها فى تأمل:

- وهل أفعل ذلك؟

كركرت ضاحكة فابتسم قائلاً:

- هو شىء لم يخطر على بالك أبداً أليس كذلك؟ إننى حتى لا أدرى هل أفرح أم أحزن له؟

بدا الارتباك على وجهها..

ضحك فى سعادة وقال:

- حسناً.. حسناً سأخبرك إنك قرأتى كتباً لمؤلف اسمه كونستانس برادلى ذلك أنا: كون برادلى ثم انفجر فى نوبة من الضحك عندما

فغرت فاها غير مصدقة.

صرخت فى ذهول:

- لا لا! لا يمكن ذلك! لا يمكن أن أصدق ذلك! إنك تمزح.

رد فى جدية:

- لا لست أمزح لكنى لا تنسى أنه سر لا أحد يعلم بذلك سوى الناشر وأنا والآن أنت.

نظرت فيرنا إلى صفوف الكتب والروايات العاطفية التى احتشدت بها مكتبتها، ولطالما أحبتها لرقتها ورومانسيتها وصدق شخصياتها حتى كأن هذه الشخصيات أناس حقيقيين تعرفهم ويعرفونها!! ثم نظرت إلى كاتب القصص المرعبة المثيرة ذى العينين الزرقاوين الواسعتين، الجالس أمامها!! مستحيل أن يكون هو مؤلف هذه الروايات العاطفية الرقيقة!! ثم تذكرت تلك النظرات الحزينة فى عينيه وهما فى المطعم ليلة أمس.

مرض ديف وتولت فيرنا أعماله إلى جانب أعمالها وشغلها ذلك طيلة ما تبقى من الأسبوع عن التفكير فى أى شىء آخر ولم تمر عطلة نهاية الأسبوع بسهولة لكنها استطاعت التغلب على ذلك بأن أعطت المنزل دورة غير مطلوبة من النظافة وتنزهت لأميال على الشاطئ مع شيبا.

استدعاها ريج ويليامسون إلى مكتبه أثناء استراحة الغداء يوم الاثنين.

بادرها عندما دخلت إليه:

- لقد رشحتك للتطوع فى عمل مهم يا فيرنا..

جلست ونظرت إليه فى ريبة فأضاف:

- اهدأى واسترخى يا فيرنا إن ما رشحتك للتطوع للقيام به عمل هين، لن يستغرق منك سوى الانشغال ليومين فقط مرة بعد الظهر ومرة فى المساء.

سيكون تغييراً فى نمط حياتك، كما أنه سينشئ علاقات عامة جيدة للصحيفة سألته فى خبث:

- مرة عصراً ومرة مساءاً.. هل ستمنحنى أجراً إضافياً على ذلك؟

بدت الصدمة على وجهه من أثر سؤالها لقد كان كون برادلى على حق.. إن هذا الرجل تجسيد للبخل والإمساك!!

أجابها أخيراً:

- لا، لكنك ستتناولين غداء مجانياً اليوم مع صديقتى العجوز السيدة لانسينج ثورب وهى المسئولة عن مهرجان بوندابورج السنوى للقصة القصيرة.

أحست من كلامه أن هذه السيدة المذكورة تتولى رئاسة المهرجان منذ ما لا يقل عن ثلاثين عاماً على الأقل. لكنها لم تقل شيئاً وانتظرته ليتابع كلامه..

تابع قائلاً:

- ستكونين أحد أعضاء لجنة التحكيم!

ثم صمت برهة وأخذ يفرك كفيه فى تفكير عميق.

ثم قال فى النهاية:

- حسناً ستشرح لك السيدة كل شىء بالتفصيل.

هزت رأسها نفياً فى تصميم وقالت:

- لا.. لا.. لا لن أذهب وأتناول لقمة واحدة مع السيدة الفلانية هذه فهل أعرف كل شىء بالتفصيل لا تنس أننى قد نالنى ما يكفى من مؤامراتك.

بدا عليه الاستياء وقال:

- لكن هذه ليست مؤامرة إنها كما أخبرتك تماماً، ستكونين واحدة من أعضاء لجنة تحكيم مهرجان بوندابورج للقصة القصيرة سيعقدون جلسة التحكيم فى عصر اليوم السابق على حفلة توزيع الجوائز وسيعلنون عن الجوائز فى اليوم التالى فى المساء ذلك كل ما فى الأمر.

سألته فى هدوء:

- إذا لماذا يبدو عليك الإحساس بالذنب هكذا؟

أجابها فى تعالٍ:

- لا يبدو على الإحساس بالذنب، إننى فقط مشغول والآن اذهبى يا فيرنا لديك من العمل الكثير إذا كنت تفكرين فى توفير وقت للغداء مع السيدة لانسينج ثورب.

انصرفت وبعد دقائق كانت جينيفر تشرح لها الأمر قائلة:

- أوه! لا تقولى لى إنهم أوقعوك فى هذا الفخ ستندمين على ذلك يا فيرنا إن ميلبا لانسينج ثورب لا تستطيع أن تنظم عشاءها بنفسها

إن مهرجان بونداپورج يسوء عاماً بعد عام!!

ولم تمض دقائق حتى علمت فيرنا أن السيدة لانسينج ثورب هى إحدى الشخصيات الشهيرة فى المجتمع لكنها لا تستطيع تنظيم أى شيء، ورغم ذلك تصر على تنظيم المهرجان بنفسها كل عام وتختار عدداً من المتطوعين ليساعدوها فإذا نجح المهرجان نسب إليها النجاح، وإذا فشل تلقى باللوم كله على هؤلاء المتطوعين المسكين!!

دقت فيرنا على باب السيدة لانسينج ثورب فى قلق وتوتر فتح الباب لها رجل ظنت لأول وهلة أنه خريج من أحد كتب التاريخ التى تدور حول القرن ١٨ رجل طويل أنيق يرتدى سترة سوداء ذات ياقة عريضة وذيل طويل ويرتدى قفازاً أبيضاً فى يديه!! لاشك أنه كبير الخدم.

جلست فيرنا على أحد المقاعد فى الصالون الذى كان يشبه صالونات قصور الملوك وقد تناثرت الزهريات الضخمة والتحف الغالية من الخزف والبورسلين فى أركانه، وعلقت على الحوائط صور لرجال أثريين يبدو أنهم السلالة الملكية التى انحدرت منها صاحبة المكان.

بعد دقائق جاءت السيدة لانسينج ثورب ووجدتها فيرنا تجسيداً متقناً للوصف الذى وصفتها به حينيفر عندما ذهبت إليها تسألها عنها.. امرأة طويلة، نحيفة تشبه عصا الصينيين وفى طرفها كرة تنس طاولة تحمل وجهاً لم تر فيرنا فى حياتها أقبح منه رغم أطنان المساحيق التى تكومت فوقه!! وكانت فيرنا تعلم أن المرأة ما هى إلا فتاة ريفية فقيرة شاء لها القدر أن تصل إلى منصب وثروة وتصبح من أثرى أثرياء المدينة، وبدا عليها أنها تريد ألا ينسى الجميع ذلك، وتساءلت

فيرنا فى نفسها عن ذلك الرجل الذى سمح لنفسه بأن تدخل مثل هذه المرأة الغريبة فى حياته.

هل كان أعمى أم أصم أم يحب؟! خجلت فيرنا من نفسها عندما طرأ على بالها ذلك فالحب يفعل بنا ما لا يمكننا منعه وكما يقولون: مرآة الحب عمياء!!

لكن إحساسها بالخجل من نفسها لم يدم إلا لحظة واحدة فقط.. إذ بدأت السيدة تتكلم وتشرح المهمة لفيرنا التى أدركت ساعتها أن ريج ويليامسون قد خدعها مرة أخرى وأن جينيفر كانت محقة تماماً فيما قالته لها.

كانت تفكر فى الحجج التى ستتذرع بها للاعتذار عن الاشتراك فى المسابقة عندما قطع عليها صوت جرس الباب حبل تفكيرها ثم رأت كبير الخدم يدخل بوجهه الجامد ويعلن فى أدب جم ووقار مبالغ فيه عن وصول السيد كونال برادلى وقفز قلب فيرنا من مكانه ترقباً إذ رأت خلف الرجل الطويل، كون برادلى بطوله الفارع وقامته الممشوقة يدخل إلى الحجرة وقد ارتدى ثياباً ارستقراطية غريبة ويمشى خطوات وئيدة أوما إلى فيرنا ثم توجه مباشرة إلى السيدة.

أمسك بيد السيدة وطبع عليها قبلة وهو ينحنى أمامها بطريقة مسرحية كادت فيرنا تنفجر فى الضحك بسببها لكنها تمالكت نفسها.. ومن جديد عادت المرأة تشرح لهما خططها للمهرجان وللحفل الكبير الذى سيقام فى ختامه ولمحت فيرنا فى عينيه نظرات تساؤل ودهشة أخذ يوجهها إليها خلسة.

دق جرس الهاتف فى مكان ما من المنزل وأتى كبير الخدم يطلب السيدة وبمجرد خروجها من الغرفة تنهد الاثنان ارتياحاً.

استدار إليها كون وسألها:

اعتقد أنك تعرفين عن هذه المهمة الغامضة أكثر مما أعرف، هل تمانعين فى تبصيرى بالأمر؟

أخبرته كل ما قاله لها ريج ويليامسون ثم أضافت تحذيرات جينيفر.

ابتسم قائلاً:

- حسناً حان الوقت ليتذوق ناشرنا العزيز السم الذى يطبخه لنا.

لاحظ نظرات الشك فى عينيها فضحك وأضاف:

- لا تقلقى دع الأمر كله لى وإذا غضب ريج أو عاتبك فقولى له إنها غلطتى أنا. لدى أكتاف عريضة وأستطيع تحمل المسؤولية أيتها الآنسة.

كادت تعترض وتحتج على كلامه لولا قدوم السيدة فالتزمت الصمت.

تناول كل منهما شرابه ثم ذهبوا جميعاً لتناول الغداء وكانت وجبة لن تنساها فيرنا طيلة حياتها أبداً!! تحول كون برادلى أمام عينيها إلى شخص لم تعرفه من قبل، لكنها تؤمن به لقد رأته يمتص شخصيته ويخرج منها كل التمدين والأرستقراطية ويصبها فوق رأس السيدة المسكينة صباً!!

وامتصت مضيفتها العجوز حيله كالأسفنجة ورأتها فيرنا تتحول أمام عينيها وتتورد خجلاً وحياءً كفتيات فى المدارس أو كزهرة تتفتح فى الشمس!! واستعت عينا فيرنا دهشة وهى ترى السيدة يكاد يغمى عليها من مغازلات كون لها.

كان ما تراه أمامها كأحد أفلام السينما الكلاسيكية ولم تلمس فيرنا لقمة من طعامها تقريباً واكتفت بمشاهدة ذلك العرض الكوميدى الممتع وكون يسلب المرأة لبها ويستحوذ عليها بمغازلاته الأرستقراطية ويصرف منها كل خططها وتوقعاتها للحفل القادم ونصف قصة حياتها فوق البيعة!!

مع وصول وقت تناول الحلويات كانت السيدة تأكل من يده، ورأت فيرنا أنه على قدوم القهوة فستتخلى السيدة عن إقامة الحفل بالمرة لترضى كون!! لكن ليس الأمر بهذه السهولة.

أمسك بيدها التى تشبه مخالب القط قائلاً فى نعومة بالغة:

- سيدتى العزيزة يجب أن أعتذر حقاً عن عزيزنا ريجى.

كتمت فيرنا ضحكاتها فى منديلها، وهى تتمنى أن تظن السيدة أنها كانت تسعل.

أضاف كون:

- من الواضح أنه قد ضللك بشكل فظيع، لكننى متأكد من أنه لم يفعل ذلك عامداً إنه ببساطة نسى أن الآنسة جرانت لديها مسؤوليات كثيرة فى صحيفتها، وأننى بالطبع لدى الناشر الذى يقف على رأسى حتى أنهى له أعماله طبعاً نحن فى غاية السعادة أننا سنقوم بالتحكيم

فى مثل هذه المناسبة البالغة الأهمية، وسنفعل بل إننى أستطيع أن أؤكد لك على الشخصية الثالثة التى ستقوم بالتحكيم معنا، ولذا يجب ألا تشغلى بالك بهذا الموضوع لكن من حيث المسائل التنظيمية على المدى الطويل فيجب أن تصدقينى إذا قلت لك أن ريجى ينوى أن يتولى بنفسه عبء التنظيم وبالطبع يجب أن تسمحى له بمساعدتك يا سيدتى العزيزة.

بل إننى أرى أنك يجب أن تصرى على ذلك.

وواصل كلامه ومع كل كلمة تزداد السيدة رغبة وإصراراً على تكليف ريجى العجوز بتولى أمر اللجنة المنظمة للمهرجان لكن مسألة الحكم الثالث هذه التى كانت فيرنا ترى أن كون لم يحسن اللعب بها إذ كيف سيقنع الممثلة وعارضة الأزياء الشهيرة مارلين كينجهام بالحضور للحفل؟ كما أن السيدة علقت آمالاً عريضة على حضور مادلين إلى مهرجانها إذ أن حضور مثل هذه الشخصية الشهيرة على مستوى أستراليا كلها سيضمن لمهرجانها النجاح الباهر لكن كيف؟!

حذر كون مضيفته قائلاً:

والآن يجب أن تتأكدى من أن ريجى لن يخجل من كل هذا كما تعلمين فهو شديد الخجل وسيعيد إليك الأمر كله لو تركتيه يفعل ذلك ولذا فكل ما عليك فعله هو أن تقولى له ببساطة أننى والآنسة جرانت مشغولون للغاية بأعمال أخرى، وأننا لن نكون مناسبين للمهمة بقدر ما سيكون هو يجب أن تكونى حازمة معه ولا يجب أن تخبريه أننى قلت لكى كم هو مهتم بمهرجانك الرائع.

وبدأ يلف حبال الخطة حول رقبة ريجى ويحكمها جيداً وقبل أن تدرك فيرنا ما الذى يفعله وجدت نفسها معه بالخارج ولدهشتها الشديدة لم يتحدث معها بكلمة واحدة حتى صار كل منهما أما سيارته.

غمغم يحدثها بصوت منخفض دون أن يلتفت لها:

- تمالكى نفسك الآن ولا تتحدثى معى، إنها تراقبنا، سأراك فى مكتبك خلال دقائق.. سلام!!

بعد عشر دقائق تقريباً سمعت فيرنا طرقات خفيفة على باب مكتبها دخل كون نظرت إليهما جينيفر فى دهشة، لكنه حياهما بتلك الطريقة الأرستقراطية المضحكة وذلك الصوت الوقور الذى كان يرتديه فى منزل السيدة. نظرت إليه فيرنا فى دهشة بدورها والتوى طرف شفتها وهى تغالب الابتسام حتى لمحت فى عينيه ذلك الوميض الباسم فانفجر الاثنان فى الضحك بصوت عال.

شهقت أخيراً وسط ضحكاتها وقالت:

- كون.. أنت.. أنت.. غير معقول!! غير معقول ومذهل تماماً!! لم أرَ فى حياتى أداءً كهذا يا للسيدة المسكينة.. إنك لم ترحمها!! والسيد ويليامسون.. كون!! سيغضب منا كثيراً!!

أجابها بصوته العادى:

- يستحق ذلك يا عزيزتى لقد أراد توريطنا فى هذه الصفقة القذرة فليذهب إلى الجحيم ولا تأسفى لأجله لأنه كاد لنا متعمداً ليوقعنا فى هذا الفخ، ولقد نال ما يستحق لا أكثر ولا أقل.

ثم أخرج من جيبه المظروف الذى يحتوى على مقالة هذا الأسبوع ووضعه على مكتبها بطريقة مسرحية قائلاً:

- والآن سيداتى آنساتى إليكم مقالة هذا الأسبوع من تأليف وإخراج.. كون برادلى.. تستطيعين قراءتها، يا مولاتى بينما أقدم تحياتى إلى السيدة المبجلة جينيفر لولا أنها حذرتك من تلك المؤامرة الخطيرة التى كانت تهدد استقرار رحلتنا لكنا وقعنا فى خطر كبير!!

ردت فيرنا فى غيظ:

- وأنا؟ ألن تشكرنى على تحذيرى لك؟

أجابها فى مرح:

- أوه يا عزيزتى!! لكن يجب عليك الانتظار إلى مساء الغد، فما أنوى القيام به معك يجب ألا يشاهده أحد ستكون ليلة رائعة!!

توردت وجنتا فيرنا خجلاً وانفجرت جينيفر فى الضحك.

لكن كون التفت إلى الفتاة ووبخها مازحاً:

- إياك أن تفهمين خطأ أيها الفتاة الشقية كل ما سأفعله ليلة الغد هو أننى سآخذها لزيارة السلاحف إن نوايای تجاه رئيستك الجالسة هنا نوايا أفلاطونية.

ثم تركهما وانصرف وظلت فيرنا تحدق فى الباب الذى أغلقه وراءه فى أسى إنه يؤكد لها مرة بعد أخرى نفس الرسالة: إياك أن تتورطى وتحبينى لست رجلاً يحب لكن تحذيره جاء متأخراً، متأخراً جداً.

وهى فى طريقها للمنزل راودها للحظة شعور بأن كون كان سيصبح

أسهل فى التعامل معه لو ظلت الأمور على ما هى عليه كما كانت فى البداية، عندما كان غضبها منه وكرهها له يضع مسافة بينهما تستطيع الحفاظ عليها وتوقعت أن تكون الليلة التالية عذاباً أليماً بالنسبة لها عندما تسير على الشاطئ بجوار رجل تحبه ولا يريد أن يحبها، ويريد أن يتأكد من أنها لا تحبه ويفعل ما بوسعه لإبعاد قبلها عن حبه لكنها كانت تجد حبها لها كشوكة القنفذ كلما حاولت إخراجها من ساقك تعمقت أكثر وأكثر!!

عندما استيقظت فى الصباح عزمت على أن تتصل به وترفض دعوته لكن كان اليوم الثلاثاء، اليوم الأخير قبل إرسال العدد للمطبعة ووسط انشغالها بالعمل فى الصحيفة نسيت ما عزمت عليه وعندما اتصل ليؤكد عليها لقاءهما، تولى قلبها الرد على حديثه!!

٧- دعوة إجبارية

ابقى هنا أيتها الكلبة الشقية ولا تغادرى المنزل حتى نعود.. أمر كون الكلبة وهما يغادران المنزل ويغلقان البوابة خلفهما وتعجبت فيرنا من تلك السيطرة الغريبة التى يتمتع بها ذلك الرجل فوق هذا الحيوان المفترس!! أطاعته الكلبة فى هدوء وغادرا المنزل..

شرح لها الأمر وهما فى السيارة:

مستحيل أخذها معنا هؤلاء الصبية الذين يتولون حراسة محمية السلاحف سيقطعون رؤوسنا لو دخلنا عليهم بوحش مفترس تبرق أنيابه فى ضوء القمر.. عموماً يجب أن نأكل شيئاً قبل الذهاب على الشاطئ سآخذك إلى مطعم رائع.. صحيح أن ديكوراته ليست على المستوى المطلوب، لكن الطعام رائع ويقدمون كميات كبيرة منه.

أخذها إلى مطعم يقع فى أحد الشوارع الجانبية القريبة من الشاطئ ووجدت أنه كان محقاً، فالمطعم يقدم طعاماً رائعاً فعلاً، أما الكميات فغير معقولة خصوصاً أطباق اللحم التى كانوا يكومون قطع اللحم فيها وأخذ يتناولها بشراهة قائلاً إنها وجبة بالحجم الرجالى ومناسبة كإعداد جيد لنزهة طويلة على الشاطئ!!

بعد ذلك استقلا السيارة فى صمت إلى مون ريبوز ولم يتحدث إلا وهما يسيران على الرمال البيضاء التى يتمتع بها ذلك الشاطئ.

بعد خطوات قليلة استوقفهما فريق من الباحثين وأخذوا يسألونهما عن مدى إلمامهم بالقواعد المنظمة للسير على الشاطئ وعندما اطمأن الباحثون لهما تركوهما وانصرفوا بعد أن اقترحوا عليهما مكاناً جيداً للمشاهدة ليتوقفوا بعدها بدقائق مع زوجين آخرين من الزوار وعندها أدركت فيرنا أنهما ليسا وحدهما على رمال هذا الشاطئ وأن المكان يعج بالزوار وقال كون بصوت هادئ:

قد نكون محظوظين والآن لنسير بهدوء، لا نريد أن نزعج السلاحف إذا كانت قد رقدت لتضع بيضها!!

تحركا بخفة كلصين وتتبعا الأثر الواضح الذى صنعته سلحفاة على الرمال إلى أن شاهدوا جسدها الضخم وسط كومة من الرمال. توقفا على بعد كافٍ من السلحفاة التى كانت غاطسة فى الرمل تحفر لنفسها حفرة تضع فيها بيضها ظلا يشاهدانها طوال نصف ساعة كاملة فى حالة من النشوة والذهول للمنظر الرائع أمامهما دون أن يلحظا تلك الأشباح التى تحركت نحوهما فى خفة وأخذت تتابع المنظر فى دهشة.

لقد بدأت تضع البيض الآن، سأوقد مصباحى وليبق كل منكم بعيداً بما يكفى عنها لئلا تنزعج لو سمحتم لا تقتربوا من رأسها وحاولوا التزام الهدوء.

أتاهما صوت الباحث الذى قابلاه منذ قليل وفى ضوء مصباحه استطاعا أن يريا بوضوح السلحفاة العملاقة وهى تضع البيض

والدموع تنسال من عينيها الواسعتين..

همست فيرنا فى أسى:

- يا إلهى!.. إنها تبكى!!

أجابها الباحث فى هدوء:

لا إنها تتخلص من الملح الزائد الذى يتراكم فى جسدها بسبب اضطرارها لشرب ماء البحر المالح وعندما تكون على الشاطئ تساعدها تلك الدموع على إبقاء عينيها نظيفة من الرمال.

ظل الجميع يحدقون فى السلحفاة فى ذهول وهى تكمل وضع بيضها وتستخدم قدميها الخلفيتين فى تغطية البيض ثم تعود أدراجها بخطوات وئيدة إلى البحر وتختفى وسط الأمواج.

صاحت فيرنا فى نشوة وانفعال:

- مذهل! رائع! شكراً لك يا كون على إحضارى هنا!!

رد باسماً:

- سنتمشى قليلاً وقد يصادفنا الحظ ونرى بعض السلاحف الصغيرة وهى تخرج من البيض وتتجه إلى الماء.

بعد ذلك سارا على الشاطئ فى صمت ولم تدر فيرنا ما الذى يمكن أن يجول فى بال كون الآن، لكن من جانبها فقد كانت راضية وسعيدة بأن تظل تسير إلى جانبه إلى الأبد. وصلا أخيراً إلى خليج مون ريبوز ظلا صامتين واستدارا لينتبعا آثار أقدامها بمحاذاة المساعد على الرمال التى أصبحت أصلب الآن بفعل الماء الذى غسلها به المد.

توقف فجأة إذ ظهر الباحث وأخبرهما بصوت خفيض بأن هناك عش أمامهما بيضع خطوات فقس البيض فيه والسلاحف الصغيرة على وشك التوجه نحو الماء.

وصلا فى الوقت المناسب ليلحقا بآخر مجموعة من السلاحف التى أخذت تزحف نحو الماء بعد الخروج من البيض مباشرة!! إنها الفطرة التى فطرها الله عليها. وعلمت فيرنا أن معظم هذه السلاحف الصغيرة ستلقى حتفها على يد الأسماك المفترسة فى البحر ,وصاحت فى فرح وانفعال عندما انحنى كون والتقط أحدها فى يديه ليتأملها عن قرب كانت السلحفاة الصغيرة نسخة متناهية الصغر من السلحفاة العملاقة التى شاهداها للتو مدت إصبعها الصغير وربتت على رأس المخلوقة الصغيرة فى حنان بالغ، وأحست بأسى رهيب يخترق قلبها عندما انحنى كون ووضعها على الرمال لتنطلق وتلحق بأخواتها قائلاً:

هيا اذهبى أيتها الصغيرة، وحاولى تجنب الأسماك المفترسة لتكبرى وتعودى إلى هنا لتبيض لنا سلاحف أخرى صغيرة مثلك.

ثم وضع يده فى يد فيرنا وانطلق بها مسرعاً نحو ساحة انتظار السيارات لكنه ما إن وصلا إلى نهاية الشاطئ حتى غير رأيه وبدا غير متعجل للانصراف جلس على أحد الكتل الخشبية الملقاة على الشاطئ ووضع ساقاً فوق الأخرى وأشعل سيجارة جلست إلى جواره تتأمل سفينة أخذت أضواءها تتلألأ وتتناثر كالدرر على صفحة مياه البحر اجتاحها شعور بالرضا وبالسكينة يشوبه شىء من الحزن السعيد وندت عنها تنهيدة.

وجدته يقول فجأة:

- إذا بدأت تتنهدى وتلبسى ذلك القناع الدرامى على وجهك فمن الأفضل لنا أن ننصرف.

سألته فى خفة:

- وماذا فى ذلك؟ ثم إذا كانت تصرفاتى لا تعجبك فلماذا أحضرتنى إلى هنا؟!

أجابها قائلاً:

حسناً حسناً لا أريد شجاراً لكن عندما تنظرين إلى هذه النظرة الأمومية يظل عقلى يحدثنى بأنك يجب أن تذهبى لتجدى لك زوجاً بدلاً من التسكع معى هكذا.

صاحت فيه فى غضب:

- ما تقوله غباء ووقاحة منك!! ألست أنت الذى أحضرنى إلى هنا؟!

لقد كنت استمتع فعلاً بتلك الأمسية الجميلة لولا كلامك السخيف الذى أرجو أن تكف عنه!! نعم لقد أوضحت لى بما يكفى أنك لا تبحث عن زوجة ولا تريد أى نوع من الارتباط حسناً، اتفقنا وصلتنى الرسالة والآن إذا كنت تخشى على حريتك إلى هذه الدرجة أوصلنى إلى المنزل، وأغرب عن وجهى وتمتع بحريتك كما تشاء!!

ونهضت من مكانها فى غضب واتجهت نحو ساحة السيارات، لا تدرى إن كان سيتبعها أم لا، ولا يهمها كذلك إن فعل أم لم يفعل.

شىء سىء حقاً أن تحب هذا الرجل إلى هذه الدرجة، بينما كل ما

يهمه هو أن يؤكد لها المرة بعد الأخرى أنها تضيع وقتها هباءً!! لكنها غالبت دموعها وأقسمت لنفسها أن حبها له سيظل شيئاً محرماً عليه معرفته.. أبداً!!

آسف لأننى كنت وقحاً معك، لقد كان هناك ما يشغل بالى كثيراً، وجعلنى ذلك متوتراً بعض الشىء آسف مرة أخرى.

جلجل صوته الأجش فى أذنيها وهى تكاد تصل إلى السيارة لم تجبه فيرنا بشىء وبعد أن استقلا السيارة بدأ هو بالكلام مرة أخرى.

سألها فى هدوء:

- هل قال ريج شيئاً عن المقلب الذى دبرته له مع السيدة؟

ردت فى ضيق لم تحاول إخفاءه:

- لا لكنه كان ينظر إلى نظرات غريبة كلما مر بى لا أعتقد أنه سعيد لما حدث.

تناقشا فى تفاصيل الحفل الذى اكتشفت فجأة أنه بعد أسبوعين فقط.

ثم خيم عليهما الصمت لبرهة وفيرنا تفكر فيما سترتديه فى ذلك الحفل. وعندما وصلا إلى المنزل طرأ على ذهن فيرنا شىء لم تكن قد فكرت فيه حتى الآن.

سألته فجأة:

- ما الذى سيقوله السيد ويليامسون و.. تلك السيدة، عندما لا يكون هناك مادلين كينجهام كما وعدتهما؟ أم أنك قد رتبت فعلاً لزيارة

هذه الممثلة الشهيرة إلى بوندابورج من أجل هذا المهرجان فقط؟

رد فى هدوء خادع:

- آوه! ستكون هنا كواحد من لجنة التحكيم لا تشكى فى ذلك ستصل فى العاشر من فبراير وأتوقع أن تبقى فى منزلى فترة طويلة.. طويلة بعد الرابع عشر من الشهر.

تنهدت فيرنا فى أسى عندما سمعت كلامه، كانا قد وصلا إلى منزلها وشكرته لى تلك النزهة وقدماها لا تكادان تحملانها ولم تستطع استيعاب ما قاله إلا بعد أن انصرف بالسيارة وأقبلت عليها شيبا فى فرح وسعادة.

كم هى غبية أن تظن أنه كان يضحك على السيدة لانسينج ثورب عندما وعدها بقدوم مادلين كينجهام للاشتراك فى لجنة تحكيم المهرجان!! وكم هى غبية ألا تدرك أنه لن يعبأ بفتاة مثلها عندما تكون ممثلة شهيرة وجميلة كمادلين إلى جواره وطفت على سطح عقلها صور الممثلة والعارضة الشهيرة طويلة.. جميلة.. رشيقة.. إنها المرأة التى تناسب تماماً شخصاً فى وسامة ورجولة كون برادلى أين تذهب هى إلى جوارها؟!

لكن.. لقد كان يستعملها كاحتياطى يشغل به وقت فراغه إلى أن تأتيه حبيبة القلب!! كم هو حقير ووضيع لينظر إليها تلك النظرة..!! مجرد احتياطى؟!! احتياطى؟!! لكن.. لحظة لحظة!! إنه لم يخدعها بالمرة.. نعم يا فيرنا إنه لم يخدعك فقد أوضح لك منذ البداية أنه لا يريد أى نوع من الارتباط معك.. ولطالما حذرك من ذلك إن الخطأ

خطؤك ولا يمكن أن تلوميه على سذاجتك وغباءك.. وعنادك.

مع ذلك فقد كان ذلك مؤلماً وحرمها من النوم طيلة الليل لتصحو فى الصباح متورمة العينين كسيرة القلب وكذلك غاضبة.. من نفسها ومن كون الذى اتصل بها ليدعوها إلى نزهة فى الريف فى عطلة نهاية الأسبوع ولم تجد نفسها إلا رافضة لدعوته..

سألها فوراً:

- ولم لا؟ سيفيدك كثيراً أن تغيرى جو المدينة، وتمتعى عينيك بمناظر الريف الطبيعية المدهشة.

ردت فى غضب:

- آسفة سأكون مشغولة.

كان فى نبراتها رعشة من غضبها أنها وجدت نفسها بهذا الضعف!!

إذ أنها تود من أعماقها لو ذهبت معه، رغم قسمها لنفسها بأن عليه أن يجد لنفسه شخصاً آخر يقضى معه وقت فراغه حتى تأتيه المرأة الوحيدة فى حياته.. تلك المدعوة مادلين!!

رد فى هدوء:

- إنك غاضبة منى ما الذى فعلته لك هذه المرة لتضعينى على قائمتك السوداء؟

أجابته فى خفة:

- لا شىء بالمرة كما أنك لست على قائمتى السوداء بل فى الحقيقة

فإنك تتوهم أشياءً لا وجود لها.

غمغم قائلاً:

- لابد أننى فعلت شيئاً غير عادى بالمرة وأسوأ من المعتاد لكن لا تقلقى جولة فى الريف الهادئ ستعيد إليك هدوءك يجب أن تستيقظى مبكراً، لقد خططت للقيام برحلة لتسلق التلال فى يوم صحو والآن هل يناسبك السابعة صباحاً؟

فأجابته فى غضب:

- ألم تستوعب ما قلت لك؟! أننى سأكون مشغولة يا كون ولن أخرج معك هل فهمت؟!

سألها فى هدوء:

- إذاً ما الذى خططتى لفعله فى العطلة؟

أخذها السؤال على غرة..

أسرعت تجيبه:

- ليس لك دخل أياً كان بما خططت يجب أن تفهم جيداً أننى لن أذهب معك يوم السبت والآن إذا لم يكن لديك شىء آخر لتناقشه، فبعد إذنك فلدى أعمال كثيرة يجب أن أنهيها.

قهقه ضاحكاً وقال:

- يا خبر!! إنك متعكرة المزاج ولا أستطيع أن أتخيل لماذا عموماً على يوم السبت سيكون مزاجك قد اعتدل والآن إلى اللقاء..

ثم وضع السماعة وترك فيرنا تحدق فى الهاتف فى غضب.

بدلاً من أن يخف غضبها ازداد وتصاعد وهى تأوى إلى فراشها يوم الجمعة دون أن تكون لديها أدنى فكرة عما ستفعل فى يوم السبت، فيما عدا أن ما تفعله أياً كان لن يكون له علاقة بكون برادلى وراودتها نفسها كثيراً أن تنهض من فراشها وتذهب تدق بابه بعنف وتخبره بأعلى صوتها بأنها لن تذهب معه، لولا أن الوقت قد تأخر.

استيقظت فى السادسة والنصف صباحاً وتعجبت من استيقاظها فى هذا الوقت المبكر رغم أنها لم تضبط المنبه وأغلقته ليلة أمس ذهبت إلى المطبخ لتعد لنفسها بعض القهوة وسمعت طرقات خفيفة على الباب وقبل أن تصل وتفتحه وجدته يفتح ويدخل منه كون برادلى وعلى وجهه ابتسامة عريضة..!

خطا نحو الكراسى وقال مبتسماً:

- قهوة؟ رائع.. ذلك ما أحتاجه بالضبط!

وجلس إلى جوارها.

سألته فى دهشة وذهول:

- ماذا تفعل هنا؟

استرخى فى مقعده وأجابها:

- انتظرك حتى تصبى لى بعض القهوة أم أنك تتوقعين أن أقوم أنا لأصب القهوة لنفسى؟!

توجهت إلى الرف الموضوعة فوقه القهوة ودون أن تدرى وجدت نفسها تحمل إناء القهوة لكنها توقفت فجأة فى دهشة تتساءل ما الذى

جعل يدها تمتد لتتناول قدحاً ثانياً من القهوة!!

التفتت إليه فى حدة وقالت فى غضب:

- اخرج من هنا! لقد قلت لك أننى ساكون مشغولة اليوم.. وأنا مشغولة! والآن تعرف أننى لن أذهب معك إلى أى مكان، من فضلك انصرف.

أجابها دون اهتمام:

- دون حتى أن أشرب كوباً من القهوة؟ أعتقد أن ذلك ليس من آداب الضيافة..

ردت فى حنق بالغ:

- حسناً! تناول قهوتك واغرب عن وجهى.

لم ينطق بكلمة إلى أن انتهى من قهوته التى أخذ يحتسيها فى رشفات بطيئة دون أن يرفع عينيه عنها.

سألها فجأة:

- ما الذى تخططين لعمله اليوم ويبدو مهماً إلى هذه الدرجة المرعبة؟

صاحت فيه:

- قلت لك أكثر من مرة وأقولها الآن.. ليس هذا من شأنك!!

رد فى رقة:

- لكن كيف ساقتنع بتغيير رأيك مادمت لا تريدين إخبارى عما

تخططين لعمله اليوم؟

ردت فى تلعثم:

- حسنا أنا.. أنا..

تكذبين على أنت تعلمين جيداً أن لا خطط لديك اليوم بالمرة. لا أستطيع أن أفهم لماذا تصرين على الكذب على يا فيرنا؟ يجب أن تكون قد أدركت الآن أننى أستطيع أن أقرأ أفكارك.

كذبت عليه قائلة:

- لست أكذب عليك سأذهب إلى المكتب وساكون مشغولة بتقليب بنك الأخبار لدى ديف مريض ونحن مضطرون لاستخدام بعض المواد القديمة ، وأخشى أن المواد الموجودة لدينا قد لا تكفى.

رد فى تهكم:

- هراء!! إنك أسوأ كاذبة فى العالم كله، يا فتاتى.

نهض فى هدوء واتجه ناحية رف القهوة لكنها ظنت أنه سينصرف فتنفست الصعداء وتنهدت فى ارتياح ما لبثت أن تحول إلى إحباط شديد عندما وجدته يصب لنفسه مزيداً من القهوة جلست على كرسيها فى صمت ترقبه وهو يضع السكر فى كوبه ويضيف إليه اللبن ثم يعود ليجلس.

سألها قائلاً:

- اسمعى لو كنت لا تريدين أن تذهبى معى لماذا لا تقولى ذلك بصراحة وتريحى نفسك؟ أقصد أننى لست تلميذاً سأنهار وأظل أبكى

وأولول طول اليوم على الأقل سيكون ذلك أفضل من كل هذه التفاهات التى تثرثرين بها.

صاحت فيه تكاد دموعها تفلت منها:

- حسناً لا أريد أن أذهب معك اليوم. ولا أريد أن أذهب معك غداً.

لم أرد أن تكون هنا ولا أحب أن تقتحم على منزلى هكذا تتوقع منى أن أطعمك وأسقيك وأريدك أن تذهب من هنا! هل ذلك واضح بما فيه الكفاية يا سيد برادلى؟ اذهب من هنا!! هل ذلك يرضيك؟!

لم يتحرك من مكانه وألقى عليها نظرة متسائلة من عينيه الزرقاوين.

سألها فى لطف:

لماذا أنت غاضبة منى إلى هذه الدرجة؟ ولا تقولى لى ليس هذا من شأنك. لقد كانت على ما يرام آخر مرة كنا فيها معاً، تكاد عيناك تنطقان بحبك لى، والآن كل هذه العدائية والعدوانية ما الأمر بحق الجحيم؟!

غمغمت فى صوت خافت:

- لا أريد أن أكون مجرد احتياطى!!

لكنه التقط الجملة وسألها:

- احتياطى؟ هل أستطيع أن أعرف بدلاً ممن؟ ماذا تقصدين؟

لم تجبه خشية أن تصحح خطأها بخطأ أفدح منه وتعترف له بحبها.

جلس وقد ارتفع حاجبيه يفكر فى عمق وهو يتفرس فى ملامحها.

ثم انبسطت ملامحه وبدا عليه أنه قد فهم.

صاح فى انفعال:

- إنك تغارين إذن!!

ردت فى تبرم:

لا لست كذلك! لا تكن سخيفاً!

لكنه أصر:

- بل أنت تغارين علىّ فيرنا؟ هل يعنى ذلك أنك؟ لا.. لا طبعاً لا..

ثم انخفض صوته وتابع وكأنه يحدث نفسه:

- بل يجب عليك ذلك حسناً.. حسناً أنا أصدقك.

صب لها كوباً من القهوة وناولها إياه التفتت وهى لا تصدق نفسها.. قد أردك أخيراً أنها تحبه ولم تفلح كل محاولاتها لإخفاء الأمر عنه..!!

تناولت منه كوباً وغمغمت:

- تصدقنى؟ حسناً شكراً لك على ذلك وشكراً لك على القهوة والآن هل ستنصرف من هنا؟

أجابها فى هدوء:

- بمجرد أن تكونى مستعدة للانصراف.

أجابته:

- لقد قلت لك من قبل أننى مشغولة.

تجاهل كلامها وقال:

- صدقتك عندما قلت إنك تغارين على أما ذلك الهراء عن العمل يوم السبت فلا والآن يجب أن تأتى معى.

صاحت فيه فى غضب:

- لن آتى معك إلى أى مكان ولست أغار عليك!!

جلس فى كرسيه وقال مبتسماً:

- حسناً، اثبتى لى ذلك تعالى معى إلى هذه النزهة.

صاحت فيه فى تبرم:

- لست ملزمة بإثبات أى شىء لك والآن هل تتكرم بقبول لا كإجابة على طلبك وتذهب من هنا؟

رد فى خبث:

- بل أنت تغارين.

صرخت فيه:

- لست أغار!! لست أغار!! لست أغار!!

رد عليها فى هدوء:

- جميل إذاً هيا بنا ولا تضيعى الوقت إن شيبا تنتظرنا فعلاً كما أرى.

كان يجلس فى مواجهة النافذة ويستطيع أن يرى السيارة بوضوح وأسرعت فيرنا تنظر من النافذة لترى الكلبة وقد جلست فى المقعد الخلفى وتخرج لسانها وتنظر فى سعادة.

فتحت باب المطبخ وهرولت إلى الفناء تصيح:

- شيبا! تعالى هنا أيتها الكلبة الحقيرة قبل أن أمسك بك وأضربك ضرباً لن تنسيه أبداً!!

وقد خرج فى أعقابها..

جلجل صوته آمراً:

- شيبا! اجلس.. ابقى!!

فى الحال تسمرت الكلبة مكانها وأخرجت لسانها تنظر إليه فى خضوع!!

استدارت إليه فى غضب هائل وصاحت فيه:

- كيف تجرؤ على ذلك؟ كيف تجرؤ على التحكم فى كلبتى أنا بهذه الطريقة؟ ماذا تظن نفسك تفعل؟

أجابها دون اهتمام:

- كان يجب أن يدربها أحد وكان من المفترض أن أجعلها مفاجأة لك لكنك شخص يصعب مفاجئته لماذا لا توافقين ببساطة على الخروج معى اليوم كما طلبت منك، وبأمانة لا أدرى..

اتسعت عيناها دهشة وقالت:

- هل تقصد أنك كنت فعلاً تدرك شيبا؟! كيف واتتك الجرأة؟

رد فى هدوء المعتاد:

- لا جرأة ولا غيره فقط القليل من الصبر ثم إننى أذكى منها وذلك يساعد كثيراً والآن لماذا لا تذهبى وتحضرى حقيبتك وأشياءك وعندما نتوقف فى الطريق لتناول الغداء سأريك مدى ذكاء كلبتك.

ردت فى ضيق:

- لقد قلت لك بالفعل أننى..

قاطعها فى حزم قائلاً:

- وأنا أقول لك الآن لقد نالنى منك ما يكفى حتى الآن، لا أطيق أن تفسد مفاجأتى بسبب فتاة ساذجة غرة مثلك والآن ادخلى إلى المنزل.. احضرى حقيبتك وعودى هنا فوراً.. ستأتين معى بإرادتك أو رغماً عنك.

صاحت فى دهشة:

- لن تجرؤ!!

لكنه خطا نحوها وأمسك بمعصمها فى قوة قائلاً:

- سأربطك إلى المقعد لو اضطررت إلى ذلك يا فتاتى العزيزة أو قد أربطك فى المقعد الخلفى وأضع شيبا فى المقعد الأمامى بجوارى.. على الأقل فهى تعرف كيف تتصرف.

- حاولت أن تتحرر من قبضته لكنها لم تفلح ووجدت نفسها وكأنها قد ربطت إليه بقيود حديدية وهو يجرها جراً.

صاحت قائلة:

- شيبا! شيبا! النجدة!

قفزت الكلبة من السيارة وهرولت ناحيتها وأحست فيرنا براحة شديدة لم تدم سوى ثوان معدودة إذا أخذت الكلبة تتقافز حولهما فى مرح وهى تظن أنهما يلهوان!!

قهقه كون ضاحكاً بشدة وفتح باب المنزل ودفعها إلى داخله قبل أن

يطلق يدها قائلاً:

- والآن الحقيبة وبعض اللوازم المنشفة سنتناول إفطارنا على الطريق.

كان واضحاً أنها ستذهب معه، شاءت أم أبت! لكنها كرهت أن يظهر له أى درجة من القبول لتلك الرحلة الإجبارية..

أغلقت باب حجرة النوم خلفها بعد أن أحضرت أشياءها جلست على السرير لتضيع الوقت لكنها سمعته يصيح بها من الخارج يتعجل خروجها أجابته فى ضيق بأنها على وشك الخروج ثم طرأت على بالها فكرة وأسرعت تضعها فى موضع التنفيذ.

تسللت من النافذة إلى شرفة الغرفة ومنها إلى الحديقة ثم إلى السيارة ووضعت حقيبتها فى السيارة وأدارت المحرك لكن..

- شيبا!.. حراسة!!

دوى صوته آمراً الكلبة فى حزم صُعقت فيرنا عندما رأت كلبتها التى طالما أطعمتها بيديها تكشر عن أنيابها وتزوم فى وجهها فى غضب انزلقت قدمها من على دواسة الوقود وتدحرجت السيارة لمسافة عدة أمتار قبل أن تتوقف فجأة قبل أن تفكر فى إدارة محرك السيارة مرة أخرى كان يقف إلى جوارها لكنه أمسك بمعصمها وأمر الكلبة فى صرامة فعادت تجلس فى المقعد الخلفى فى هدوء.

ظلا يحدق أحدهما فى الآخر فى صمت للحظات بدت دهوراً.. فيرنا تنتظر انتقامه وهو يرميها بنظراته الثلجية وفجأة ذاب ثلج عينيه وانفجر فى الضحك فانفجرت هى فى البكاء أخذ يربت على ظهرها حتى هدأت.

قال لها فى لطف:

- يا إلهى!! إنك خائفة فعلاً! أنا آسف يا حبيبتى كان يجب أن أدرك ذلك لكن شيبا لم تكن لتعضك أو تفعل معك أى شىء مطلقاً، لابد أنك تعلمين ذلك؟ بل أننى أظن أنها كانت مرتبكة ولا تدرى ماذا تفعل، مثلك تماماً!! والآن يا صغيرتى.. قولى لى بجد ودون مزاح.. هل لديك أشغال فلاً اليوم؟

هزت رأسها نفياً فصاح فى مرح:

- عظيم! إذاً فستأتين معى فى هذه الرحلة سنتجول على راحتنا وعندما نتوقف لتناول الطعام سأريك إلى أى مدى وصل تدريب شيبا لكن إن كنت لا تودين ذلك لن أجبرك.

أجابته فى دلال:

- لكن يجب أن أغلق النوافذ والأبواب أولاً.

رد باسماً:

- لا اجلسى أنت هنا واستعيدى صداقتك بكلبتك وسأذهب أنا لإغلاق الأبواب والنوافذ.

٨- تربية الرجال

عندما انطلقا فى طريق العودة كانت فيرنا فى غاية الإرهاق من ذلك اليوم الطويل الشاق، لكنها ارغمت نفسها على البقاء مستيقظة إذ كانت تدرك أن كون كان قد بلغ به الإرهاق مداه هو أيضاً.

وقررت بينها وبين نفسها أن هذا اليوم أجمل يوم قضته منذ مجيئها إلى بوندابورج!!

وجاء اليوم التالى أسوأ كثيراً استيقظت فيرنا من نومها لتجد حلقها ملتهباً كالجمر وتجد العرق ينهمر من بدنها كله انهماراً كابدت حتى نهضت من فراشها وأعدت لنفسها إفطاراً خفيفاً بث فيها بعض الطاقة التى لم تدم طويلاً.

أخرجت شيبا إلى الفناء وتناولت عدة أقراص من الأسبرين ثم عادت إلى فراشها ليبدأ أنفها فى الرشح مثل الصنبور! نامت لمدة ساعة ثم استيقظت متبعة وقررت أنها يجب أن تتصل بريج ويليامسون وتبلغه بأنها قد لا تستطيع العودة للعمل فى اليوم التالى لم تجده وأجابتها زوجته التى أخبرتها بأنه عند كون برادلى وأخبرتها فيرنا بأنها ستتصل به عند كون وطلبت رقم كون وطلبت منه أن تتحدث إلى

ريج الذى أخبرته بمرضها ثم غلبها النوم...

لكنها استيقظت بعد ساعة وهى تصرخ فى رعب!!

دوى الصوت الأجش وسط صرخاتها واشتدت القبضتان على كتفيها..

- إيه.. إيه! حبيبتى إنك على ما يرام.. أنه مجرد حلم..

وفجأة تراخت القبضتان وأحست بيد حانية على جبهتها التى أغرقها العرق..

ثم تغيرت نبرة الصوت الأجش واكتسى بنبرات الإحباط واليأس وبدا وكأنه يبكى..

همس فى رقة مذهلة:

- إنك على ما يرام الآن يا حبيبتى لقد كنت تحلمين، هذا كل ما فى الأمر مجرد حلم.. لا أكثر هل تتحدثين إلى هذه الكلبة الجاهلة من فضلك؟!

عاونها على الجلوس فى سريرها ورنت بنظراتها إلى حيث أشار واتسعت عيناها ذهولاً من منظر شيبا التى أخذت تزوم فى غضب من تحت أنيابها التى أطبقت فجأة فى إحكام على ساق كون اليمنى.

صاحت فيها فى سرعة:

- شيبا! كفى عن ذلك!!

أطاعتها الكلبة فى الحال وأطلقت ساقه وقفزت إلى جوار سيدتها تلتمها بلسانها فى ود بالغ.

غمغمت فى وهن:

- انزلى من هنا أيتها الغبية!

وضمها برفق مرة أخرى على الوسادة وأخذ يتأمل الآثار الحمراء التى خلفتها أسنان الكلبة فى لحم ساقه.

ابتسم قائلاً:

- حسناً إننى لا أصلح مدرباً للكلاب بالمرة بعد هذا العرض القصير لماذا أطاعت الأمر وفهمت الرسالة هذه المرة وتركتنى؟ شىء عجيب!!

أجابته فى وهن:

- أوه كون!! أنا آسفة!! أنا حقاً آسفة! هل آذتك كثيراً؟!

غمغم قائلاً:

- فى الواقع جرحتنى فى كرامتى إنها حتى لم تخدش اللحم لكنها قد خلعت قلبى من مكانه، رغم ذلك.

مد يده وتحسس جبهتها ثم صاح غاضباً:

- تباً! إنك ملتهبة الحرارة هل ستستطيعين السيطرة على هذه الكلبة الغبية حتى أذهب وأحضر طبيباً؟!

أجابته بصوت خافت:

- لا أحتاج إلى طبيب إنها مجرد أنفلونزا.. لا أكثر بكل أمانة.. إن استطعت النوم فترة كافية فسأكون على ما يرام فى الصباح.

رد قائلاً:

ـ حسناً سيطرى عليها بما يكفى لأذهب وأحضر أشياءك فلن تبقين هنا وأنت بهذه الحالة ستأتين إلى منزلى حيث أستطيع أن أرعاك جيداً.

غمغمت فى وهن:

ـ لكننى..

قاطعها فى حدة:

ـ لكنك لا شىء لا أريد أية مجادلات غبية اصمتى وحسب أستطيع أن ابقى معك هنا لكن الجيران قد يظنون بك السوء وكذلك قد تفهم شيبا الأمر على نحو خاطئ على الأقل فى بيتى فهى تعرف أننى السيد، ولذا سأستطيع الاعتناء بك دون أن اضطر إلى جرجرتها فى أعقابى فى كل خطوة.

بعد ذلك بعشرين دقيقة كانت تغط فى سبات عميق على فراش جاف ودافئ فى منزل كون وهذه المرة كان نومها خالياً من الكوابيس وظلت نائمة حتى المساء ولم تستيقظ إلا لتتناول بعض الأقراص وتأوى إلى الفراش مرة أخرى وتظل مستلقية فيه طوال الليل تحوم حولها أصوات طرقات على مفاتيح الآلة الكاتبة مع إحساس لطيف بأصابع رقيقة تجفف العرق الذى يتجمع على جبهتها ولم تستيقظ صباح اليوم التالى إلا وكانت حدة الحمى قد انكسرت.

حاولت النهوض من فراشها فى وهن لتجد باب الغرفة يفتح ويدخل منه كون وقد لف على وسطه مريلة وبدا مضحكاً على نحو غريب.

قال لها بطريقة مسرحية:

ـ افطارك يا مولاتى شاى وبيضة مسلوقة مسلوقة جيداً فى حالتك هذه، لكن إن صمدتِ جلالتك حتى الغداء فسأحاول تحسين الصنف.

وتناولت جلالتها الفطور واستأنفت نومها العميق بعد أن طمأنها على أعمالها وأخبرها فى خفة:

ـ سيفيد ريج العجوز سوف يقوم ببعض التغيير فى نمط حياته ولربما يدرك كم الجهد الذى تبذلينه فى عملك فيكف عن توريطك مجاناً فى مهرجانات سخيفة وخدمات لكل من هب ودب لذا، انسى كل شىء عن العمل يا حياتى عودى فقط إلى نومك واتركى كل شىء وإذا لم يستطع ريج القيام بالعمل فسأذهب وأقوم به بنفسى، لكن ليس قبل أن تستردى شيئاً من عافيتك.

اتكأت عليه وعاونها حتى وصلا إلى السلم المؤدى للدور السفلى وفغرت فيرنا فاها دهشة من روعة وجمال المكان..

كانت غرفة النوم التى رقدت بها طيلة الساعات الماضية تنتهى بشرفة جانبية واسعة تستخدم كغرفة للجلوس وقد صفت فيها مقاعد ثقيلة مريحة ومصابيح للقراءة.

أما الحائط الرئيسى للشرفة وكذلك الإفريز فقد تحولا إلى مكتبة كبيرة اصطفت بها آلاف الكتب بينما وفرت النوافذ الواسعة الضوء الطبيعى.

أما الغرفة السفلية فقد زينت بأعواد الخيزران الملونة بالأزرق والأخضر.. لكن ما شد انتباهها هو الأرفف التى رصت فوقها المزيد

من الكتب وامتد الأثاث المصنوع من الخيزران والبامبو إلى غرفة الطعام التى وضعت بها منضدة هائلة لا شك أنها تقترب من أربعة أقدام عرضاً وثمانية أقدام طولاً، ورأت عبر غرفة الطعام، على الجانب المولاجة للمكان الذى تقف فيه الباب المؤدى إلى المطبخ..!

صاحت فيرنا فى دهشة وهما يهبطان السلم:

- إنها فخمة بشكل مذهل!! إننى لا أتخيل كيف يمكن لمن يملك هذا القصر أن يطاوعه قلبه ويؤجره؟!!

رد فى لهجة جافة:

- لم يكن بهذا الجمال عندما استأجرته، والآن وحيث أننى اشتريته أستطيع إضافة لمستى الخاصة على المكان.

ردت فى تعجب:

- هل معنى هذا أن هذه المكتبات وكل شىء هنا من إبداعك؟

أجابها قائلاً:

- وهل تظنين أننى لا أملك إلا هذا الوجه الوسيم يا بنتى؟ إننى نجار محترف عندما أضع الأمر فى رأسى.

أسرعت تقول:

- آسفة لم أكن أقصد أن تفهم من كلامى أننى لا أصدق أنك أنت الذى صنعت كل هذا.. كنت أظن أنها كانت هكذا.. وأنت؟

قهقه ضاحكاً يقول:

- مجاملات لا أكثر!! إذاً سأحاول أن أمرضك كثيراً لكى تجامليننى

أم أن المرض ثمن غال للمجاملة؟

أجابته فى جد:

- غالٍ جداً لو تعلم!

ثم أضافت فى توتر:

- وشكراً لك على.. العناية بى أثناء مرضى.

ابتسم وأخذ يدها وأجلسها على مقعد وثير ولفها ببطانية سميكة.

قال فى لطف:

- تعالى اجلسى هنا لديك كلبة لطيفة حقاً!!

سألته فى لهفة:

- هل عضتك فعلاً؟ آسفة لكننى لا أكاد أتذكر شيئاً مما حدث.

رد فى خفة:

- سأريك آثار أسنانها لكن يجب أن أطعمك أولاً لكى لا يصدمك المنظر، وأنا أحذرك فلست طباخاً ماهراً.

ووضع بين يديها كوباً من عصير الليمون ثم انصرف إلى المطبخ وشيبا فى أعقابه.

عاد بعد دقائق قليلة ليعاونها على الذهاب إلى المطبخ وأخرج الكلبة إلى الفناء وأمرها بالبقاء هادئة دون مشاكل، وأطاعته فى هدوء.

أجلسها على المائدة وفتح باب الفرن وأخرج منه علبتين من لحم

المحار المحفوظ وسألها فى رقة:

- والآن يا مريضتى العزيزة هل لك فى شىء من الطعام؟

نظرت إليه فى شك ولكنه طمأنها وناولها علبة وانهمكا فى الأكل دون كلمة واحدة بعد ذلك أخرج إناءً مسطحاً واسعاً به طعام بحرى فاحت منه رائحة شهية وضعه على المائدة قائلاً:

- تمهلى وخذى حذرك مع هذه لئلا يضطرب جهازك الهضمى لا تنسى أن بطنك خاوية منذ يومين.

أجبرت نفسها على الأكل ببطء وأخذت تنثر على مسامعه عبارات المديح والإعجاب بطريقته فى الطهى حتى صاح بها مازحاً:

- كفى كفى!! ساغتر من كلامك وأنا مغرور فعلاً لكننى سعيد أننى أستطيع أن أريك أن لدى بعض الخصال السيئة.

أجابته قائلة:

- لكننى لم أقل إنك كذلك.

ثم أضافت فى خجل:

- بل إنك تصلح لأن تكون زوجة ممتازة!!

أجابها فى مرح:

- مضبوط! فأنا أطبخ وأنظف وأغسل الملابس كذلك وبالمناسبة يجب أن أذهب لأغسل المفارش فلم يعد لدينا مفارش نظيفة وجافة على الإطلاق لا عندك ولا عندى.

حاولت الاعتراض لكنه قاطعها مضيفاً:

- ممنوع الاعتراض هل ستكونين بخير إذا ذهبت لساعة أو ساعتين إلى المغسلة سأترك شيبا معك لتؤانسك وسأزكى لك كتاباً أو اثنين لتقرأيهما.

أعادها إلى الصالون متجاهلاً احتجاجاتها ولفها ببطانية ثم غادر المنزل وعلى رأسه سلة تكومت فيها الملابس حتى تجاوزت حافتها واتجه إلى المغسلة تناولت هى قصة عاطفية من تأليف كونستانس برادلى وأخذت تقرأها من زاوية جديدة وقد عرفت الآن مؤلفها.

وهل عرفته حقاً؟ تساءلت فيرنا فى نفسها فى دهشة مؤكد أن كون برادلى الممرضة والطباخ أكثر تعقيداً من ذلك الشبح الضخم عديم الوجه الذى تراءى لها ذات فجر على الشاطئ ذلك إذا كان هو ذلك الغريب لقد كانت متأكدة بنسبة تسعة وتسعين بالمائة من أنه كان ذلك الشخص، لكن تجاهله للأمر بهذه الطريقة جعل الشك يتسرب إلى نفسها.

وجدت نفسها على يقين من أمر واحد فقط: فيرنا جرانت تحب كون برادلى وتذوب فيه عشقاً ورغم تماليه عليها أحياناً وقسوته معها، فقد كانت تشعر بأنه يميل إليها هو أيضاً يميل نعم.. يحب لا بالقطع لا.

وبرغم تلك القصص العاطفية المذهلة التى كتبها والتى يصف فيها الحب الحقيقى الصادق فقد كانت سخريته وتحفظه معها أكثر مما قد يبث فى نفسها ولو أقل بصيص من الأمل ثم هناك مادلين كتجهام أيضاً تلك المرأة التى سبقت فى الوصول إلى قلبه.. إن كان بإمكان أى امرأة أن تصل إلى هذا القلب الجرانيتى.

وما كاد اسم مادلين كينجهام يطرأ على ذهنها حتى وجدت جرس الهاتف يرن وصوت مادلين يأتيها من على الطرف الآخر.

صاحت مادلين فى انفعال:

- أوه!! أمنا الغولة: ولا يبدو صوتك مثل صوت الغيلان بالمرة!! أوه.. كم أتمنى أن أقابلك بعد كل ما حكاه كون لى عنك لابد أنك أشجع منى لتدعيه يكتب عنك بهذه الطريقة!!

سيطر الذهول على فيرنا للحظات أن وجدت نفسها موضوع مناقشات بين كون وحبيبته الوحيدة..

لكن المرأة لم تلق بالاً لصمتها وتابعت:

- إننى اتصل فقط لأخبره بأن التصوير قد ألغى وأنى سآتى مبكراً عن الموعد المحدد سأغادر سيدنى فى ساعة مبكرة من الفجر وسآتى على أول رحلة مسائية تصل إلى آنسيت.

ودونت فيرنا الموعد الذى أخبرته بها المرأة ورقم الرحلة وهى تتوقع من كل لحظة أن تطلب منها مادلين تفسيراً لوجودها فى منزل كون لكن المرأة لم تذكر شيئاً عن ذلك بالمرة وأنهت المكالمة تاركة فيرنا لتغرق فى أفكارها ومشاكلها.. تلك المشاكل التى فاقمها ما رأته منه طيلة الأيام القليلة الماضية..!

ترى ما الذى ستفعله هذه المرأة المذهلة عندما تجد حبيبها وقد انهمك فى تمريض امرأة أخرى فى منزله طوال الأيام الماضية؟! التمريض فقط.. لقد وصلت بهما الحميمة أن لم تعد هناك أسرار تخفيها عن كون.. باستثناء السر الوحيد الذى تحاول إخفاءه لكنه لابد

قد أدركه أنها تحبه.. وتحبه بجنون!!

ولم يهون عليها كون الأمر عندما عاد بالملاءات النظيفة وأصر على أن تشاهده وهو يرتب الأسرة ويفرشها وينظف الأطباق من أثر العشاء.

وتقبل أخبار قدوم مادلين المبكر فى بساطة ودون شديد اهتمام ولم يتحدث كثيراً إلى أن انتهى من عمله صب كوبين من عصير الليمون وناولها واحداً وأجلسها مرة أخرى على الأريكة ولفها جيداً بالبطانية وأخذ يحتسى شرابه فى هدوء ثم قال مبتسماً:

- لقد انخفض مستواى بشدة فى الأعمال المنزلية برغم أننى ظللت أتدرب كثيراً طيلة الأيام الماضية.

ثم مال للخلف ومد ساقيه واكتسى وجهه بلون أكثر جدية..

سألها:

- لقد كنت تمزحين يا فيرنا عندما قلت لى أننى أصلح لأن أكون زوجة جيدة لكن أخبرينى بجدية كيف تريدينى كزوج؟

لقد قلت لك بجد ودون مزاح لكن مادمت تريدينه هكذا، حسناً ما رأيك فى كزوج يا فيرنا؟

أجابت فى صرامة زائفة:

- إذا كنت أبحث عن زوج، وهو بالتأكيد ما لا أفعله الآن، فستكون أنت على رأس القائمة المرشحة.

سألها فى لهجة أبوية جادة وودودة:

- لكن لماذا لا تبحثين عن زوج يا بنيتى؟ لم تعودى صغيرة بعد الآن لقد كبرت.

انطلق عقلها يبحث فى جنون عن كلمات تختفى وراءها..

لكنها لم تجد غير ذلك.

مازال الوقت طويلاً أمامى كما أننى سعيدة فى عملى.

أجابها فى وقار:

- وكذلك مادلين، لكننى لا أتوقع منها أن تندم إلى هذا الحد عندما تتخلى عن عملها من أجل حبها.

أوه!! كفى! كفى!

ضرب الدوار عقلها وأحست بآلاف الطعنات تخترق قلبها وتبعثره أشلاءً! ولم تستطع سماع المزيد من هذا دون أن تنهار، وكانت تدرك ذلك جيداً..

أجابته فى صعوبة:

- أجل لكننى لست مادلين وأنا الآن منهكة ولو لم أذهب إلى فراشى بسرعة فقد يضيع على ذلك العشاء الجميل الذى أعددته.

أجابها برقة مفاجئة:

- طبعاً يا حبيبتى كان يجب أن أدرك ذلك هيا تعالى سأساعدك على صعود السلالم هل أنت واثقة أنك لا تريدين شيئاً آخر قبل الصعود؟ حمام مثلاً؟ طالما لن تبللى شعرك فلا بأس.

خلّ الصباح بوضوح صادم واستعادت فيرنا كامل عافيتها

واستيقظت على أصوات زقزقة العصافير، بذهن صافٍ وقلب كسير فاليوم هو يوم الرحيل.

كان ذلك ما تظنه إلى أن سمعت شيبا تزوم وتئن فى صوت حزين هرولت إلى غرفة نوم كون فوجدته يئن ويرتعد فى فراشه بعنف..

صاحت فى لوعة:

- أوه! كون!.. أنا آسفة.. آسفة جداً.

كان وجهه شاحباً تتراقص فوقه خيالات الموت وقد غطى العرق جبهته وشفتيه..

أجابها فى وهن:

- ليست الغلطة غلطتك.

وأومأ لها إلى أحد الأدراج حيث ستجد المقالات الإضافية التى كتبها احتياطياً لمثل هذه الظروف وحاول النهوض من فراشه.

صاحت فيه فى غضب:

فلتذهب المقالات إلى الجحيم الآن.. عد إلى فراشك حالاً سآتيك ببعض الأقراص لقد ساعدتنى قليلاً على الشفاء.

تأوه قائلاً:

- سأكون على ما يرام لكن يجب أن تمنعى مادلين من الحضور إلى هنا وإلا ستصاب هى الأخرى بالعدوى اذهبى بها إلى أحد الفنادق.

أجابته فى قلق يتزايد:

- سأعتنى بكل شيء والآن عد إلى هذا السرير قبل أن أفقد أعصابى لقد انتهى دورك كممرضة وحان دورى.. وأتوقع أن تتصرف بأدب.

غمغم فى خفوت:

- لا.. أعتقد.. ليست.. مريضاً.. جيداً.. كذ..

وانقطعت كلماته وراح فى غفوة قصيرة فأسرعت تبحث فى الغرفة عن بعض الأقراص فأحضرتها وناولته إياها ثم راح فى النوم مرة أخرى تاركاً فيرنا لتطعم الكلبة وتطعم نفسها كذلك وتلقى نظرة عليه بين الحين والآخر.

عندما حلت ظهيرة اليوم كانت مخاوفها قد تحققت إذ اشتدت به الحمى وأخذ العرق يتصبب بغزارة من بدنه كله وأخذ ينتفض فى نومه ويرتعد فى عنف ظلت بجواره تجفف عرقه وتضع الكمادات فوق جبهته وهو فى عالم آخر لا يدرى ما حوله.

اتصلت بالصحيفة وطلبت من ريج أن يبعث بأحد ليأخذ المقالات كما أخبرته بأنها قد لا تذهب إلى العمل لبقية الأسبوع عندما اعترض على كلامها كافأته برد غاضب فاحش كاد يصعق لما سمعه لكنه تقبله فى صمت.

عند الرابعة مساءً اتصلت بالمطار وأكدت على موظف الاستعلامات أن يخبر مادلين كتجهام بأن تتصل بها بمجرد وصولها، وأن يتأكد كذلك من ألا تأتى إلى المنزل ومن تلقاء نفسها ثم عادت إليه تصارعه فى غيبوبته لئلا يلقى بالملاءات والأغطية أرضاً فيصاب بنزلة برد فوق

الحمى التى يصارعها استمرت فى تجفيف عرقه وبدا مرتاحاً لذلك، ولكنها أدركت أنها ستضطر لتغيير الملاءة من تحته قلبته فى صعوبة وسحبتها من تحته ثم أعادت الكرة عندما وضعت تحته ملاءات جديدة جافة تمدد فى فراشه فى راحة على الملاءة الجديدة النظيفة.

ظلت بجواره ساعات وساعات ترقبه وترعاه والدموع تنسال من عينيها..

ماذا؟ هل أنا جميل إلى هذا الحد؟

غمغم فى خفوت وهو ينظر إليها نظرات طفل صغير يحتاج إلى شيء من الثقة بنفسه.

همست تجيبه:

- جميل حقاً والآن عد إلى نومك.

فعاد فوراً إلى نومه دون أن يلحظ دموعها ودون أن يوقظه جرس الهاتف الذى دق كانت مادلين التى تلقت أنباء مرضه فى بساطة لم تر فيرنا أنها يمكن أن تصدر عن حبيبته الوحيدة!!

قالت دون مبالاة وفى لهجة فظة:

- أيا كان ما به فلا أريد أن أصاب بالعدوى منه هل أنت واثقة من أنك تريدين لعب دور الممرضة معه؟ وماذا لو أصبت بالعدوى؟

أجابتها فيرنا دون تفكير:

- نلت دورى فعلاً وقد أصيب بالعدوى متى وذلك ما كان يفعله.. يقوم بتمريضى.

ردت مادلين فى لهجة جافة:

- حسناً مرضيه أنت أفضل من أن أقوم أنا بتمريضه إنه مزعج بشكل فظيع عندما يمرض فنصف الوقت يكون كالطفل ويحتاج لأم ترعاه، والنصف الآخر كالكلب المسعور يريد أن يختبئ فى حفرة ولا يقترب منه أحد.

وسرت فيرنا كثيراً عندما أخبرتها المثلة بأنها ستتصل بها تليفونياً كل يوم إلى أن يصبح من المأمون قدومها للمنزل.

وفى المرات القليلة التى استيقظ فيها كون أثناء مرضه أدركت فيرنا أن مادلين تعرفه حق المعرفة لقد كان فظيعاً فعلاً وله بصة مخيفة كلما استيقظ يريد النهوض من فراشه ويصب لعناته على فيرنا التى فقدت أعصابها أخيراً وصبت عليه وابلاً من السباب أذهلهما معاً.

وفيما بعد أصبح أقل فظاعة وإن ظل صعباً على درجة جعلت فيرنا تشعر بالأسى من أجل تلك المرأة المسكينة التى سيوقعها حظها العاثر فى الزواج منه والقيام بتمريضه!! ترى هل كانت هى نفسها بهذا السوء أثناء مرضها؟ لا لا.. إنها فكرة سخيفة!! فلا أحد يمكن أن يضاهى كون برادلى فى بذاءته وسوء مزاجه وعصبيته وطول لسانه عندما يمرض وما إن استيقظ ذات مرة وكانت حدة الحمى قد انكسرت إلا وأسرع يغادر فراشه لولا أن هددته بأن تطلق عليه الكلبة، فاستجاب لها على شرط أن تقرأ له واختار كتاباً عاطفياً لأحد الكاتبات من معاصريه وصعب عليها القراءة بأن ظل يقاطعها بين الحين والآخر بتعليقاته البذيئة والساخرة إلى حد الفحش لدرجة أن فيرنا أحست

بأنها على وشك أن تخنقه وتستريح منه!!

ما أن حل صباح السبت حتى كان قد استعاد كثيراً من عافيته وهرول إلى سماعة التليفون يطلب حضور مادلين فوراً، ولم تتأثر فيرنا كثيراً بذلك إذ أنها كانت قد عقدت العزم على أن تبتعد عن المنزل لحظة وصول حبيبة القلب لكى ترحم نفسها من المشاهد العاطفية والسلامات الحارة!! ووجدت فى المفارش المتسخة فرصة للهروب إلى خارج المنزل وأخبرته أنها ستذهب للمغسلة أتعبها كثيراً حتى سمح لها بالخروج على وعد بأن تحضر له قطعة كبيرة من اللحم يملأ بها مكاناً فى معدته الخاوية.

لسوء حظها وصل التاكسى الذى يقل مادلين فى نفس لحظة وصول فيرنا بسيارة كون الضخمة أمام المنزل! ووجدته يهرع لاستقبال حبيبته ويتلقاها بين ذراعيه!! بقيت جالسة فى السيارة دقائق جامدة كالتمثال.. لا هى تستطيع رؤية هذا اللقاء العاطفى، ولا هى تستطيع منع نفسها عن النظر إليهما..

دفعت باب السيارة أخيراً ونزلت منها وحملت سلة الغسيل على رأسها وأسرعت تعدو إلى داخل المنزل لكنها ما كادت تبتعد كثيراً حتى وجدته يمسك بها ويجرجرها إلى حيث مادلين تقف تحدق فيها بنظرات غريبة تعلقت فوق وجهها الجميل.

عندما رأتها عن قرب، وجدتها فيرنا أجمل كثيراً مما تبدو فى صورها امرأة جميلة رشيقة ممشوقة القوام وأنيقة فى ملابسها.. لكن ما أذهل فيرنا حقاً كانت عيناها الزرقاوان الواسعتان.. تقريباً نفس عينى كون!! لابد أن أطفالهما سيكونون أطفالاً فى منتهى الجمال!!

اندهشت فيرنا كثيراً لذلك لكن ما أدهشها أكثر كان رد فعل مادلين.

كانت تتوقع أن تلقاها الحبيبة المنتظرة ببرود بالغ وتحفظ شديد لكنها ما إن وقعت عيناها على فيرنا حتى هرولت إليها وعانقتها فى حرارة بالغة وصاحت فى فرح:

أوه!! أمنا الغولة! كون، يجب أن يطلقوا عليك النار!! كيف تجرؤ على وصف كل هذا الجمال بهذا الوصف البشع؟ وأنت يا فيرنا، كان يجب عليك أن تقتليه بل أننى سأساعدك لو فعلت.

ثم التفتت إلى كون وأمرته بحمل أمتعتها إلى المنزل، إذ لابد أنه استعاد عافيته مع وجود هذه الممرضة الحسناء، وعندما حاولت فيرنا التقاط سلة الغسيل وحملها أزاحتها مادلين جانباً وحملتها بنفسها..

قالت لها فى خفة:

- اتركيها لى يا فيرنا لقد فعلت أكثر مما يجب وفى وقت قياسى كذلك لابد أن كون قد أمرض نفسه بنفسه ليجعلك تأتى وتمرضينه إنه أكثر رجل أنانى يمكن أن تقابليه، لكننى على ثقة بأنك تعرفين ذلك بالفعل، بعد كل ما عانيته معه.

رد كون فى تبرم:

- إذا كنت ستبدئين فى توبيخى فاذهبى إلى فندقك أفضل وأنت أيضاً يا فيرنا اذهبى معها إلا إذا كنت قد أحضرت اللحم معك.

ردت عليه فيرنا فى حنق:

- هيا!! انصرف وادخل إلى المنزل قبل أن تمرض مرة أخرى لقد نلت منك ما يكفى هيا!!

صاحت مادلين فى فرح وهى تصفق بيديها:

- هيه!! رائع يا أمنا الغولة!! هكذا!! علميه الأدب!!

ومن المدهش أنه تراجع عائداً إلى المنزل فى استكانة وخجل!!

وما كادوا يقتربون من السلم الأمامى للمنزل حتى اندفعت شيبا نحو مادلين تنبح وتزمجر فى غضب وقبل أن تفكر فيرنا فى السيطرة عليها وجدت مادلين تأمر الكلبة فى حزم قائلة:

- أنت! ابقى بالأسفل وسأعود لأراك خلال دقيقة!! هيا!

وصعقت فيرنا عندما وجدت كلبتها تخضع للأمر فى الحال وتهدأ!!

وعندما وصلت الفتاتان إلى الباب الأمامى كان كون قد أدخل الحقائب وناولته مادلين سلة الغسيل ثم انحنت ترتب على ظهر شيبا وتداعبها فى حرارة لم تفارقها منذ أن وصلت قائلة:

- أوه! أيتها الكلبة الشقية! لقد سمعت عنك كثيراً ولكنك أجمل مما كنت أتوقع!

وفى الحال كانت الكلبة تتمسح فى حنان وود بالغ وكأنها كانت تعرفها منذ أمد بعيد!! وأذهل ذلك فيرنا وإن وجدت نفسها مرغمة على الإقرار بأن رد فعل الممثلة كان أبعد كثيراً عما توقعته لقد كانت مستعدة لما سيحدث أياً كان، إلا هذا الود وهذه الألفة التى اندلعت

كالنار فى الحطب الجاف بينها وبين مادلين منذ لحظة وصولها!! ولم تملك منع نفسها من الإعجاب بها.. ومع ذلك فقد كانت مشاعرها تجاهها أعمق من ذلك لقد وجدت أن هناك رابطة ما تربطها بهذه المرأة منذ أول عناق لهما ووجدت أنه من الصعب عليها التوفيق بين هذا الإحساس وبين مشاعرها تجاه كون برادلى الذى سيتزوج هذه المرأة على الرغم من حبها، حب فيرنا، له!!

- أوه!! يا له من منزل رائع! ومناسب تماماً لشهر العسل!!

أتاها صوت مادلين من داخل المنزل وعلمت أنها قد انتهت من الترحيب بشيبا وألقت أول نظرة لها على منزل كون من الداخل أحست فيرنا برعشة تسرى فى أوصالها وكافحت دموعها التى بدأت تنسال على وجنتيها، واستندت إلى عقب الباب لئلا تقع بعد هذا الضعف الذى دب فجأة فى ساقيها لا لا.. إنها لا تستطيع تحمل المزيد من ذلك!!

اندفعت مادلين من المنزل وأمسكت بكتفيها وصاحت:

- أوه! فيرنا!! أيتها الفتاة المسكينة وكأنك على وشك الانهيار!!

وعاونتها على الجلوس على أقرب أريكة..

أتاهما صوت كون يصيح من الداخل:

ومن الذى سيطبخ اللحم؟ ومتى إن شاء الله؟! أنا جائع بما يكفى لأن آكله نيئاً؟

ردت عليه مادلين فى غضب:

- فلتأكله نيئاً إذاً كون برادلى! إنك حيوان أنانى تعالى فقط هنا

وانظر إلى تلك الفتاة المسكينة التى أنهكها تمريضك، وكل ما تفكر فيه هو معدتك الخاوية!!

ثم كلمت فيرنا قائلة فى رفق:

- اجلسى هنا فقط وسأذهب لأعد لك كوباً من عصير الليمون أما عن هذا الحيوان الجائع فلا تشغلى بالك به! يمكنه أن ينتظر حتى نعد له طعامه كل الرجال سواء لا أحد منهم يستحق ثمن الرصاصة التى تقتلهم وتذهب بهم إلى الجحيم،

عاد كون من غرفته ونظر فى قلق إلى وجه فيرنا الشاحب..

قال فى لطف ورقة:

- أوه!! أنا آسف حقاً يا حبيبتى!! كان يجب أن أدرك أنك لازلت ضعيفة ولم تتعافى من مرضك بعد لكننى ظننت أن.. أوه هل آتيك بأى شىء؟

صاحت فيه مادلين فى حدة:

- طبعاً يا أخى!! اذهب وأحضر لنا كوبين من عصير الليمون.

أومأ برأسه موافقاً فأضافت:

- الحمد لله!! لن أتأخر عليك سوى دقيقة.

فى الصباح كانت فيرنا قد استعادت عافيتها تماماً خصوصاً مع ذلك الإفطار الشهى الذى أعدته مادلين وعندما اقترحت عليهما العودة إلى منزلها اسكتها الاثنين بصيحة انخلع لها قلبها..

صاحت فى مادلين فى دهشة:

- إنك لأسوأ منه كثيراً.

ردت عليها الفتاة تغيظها:

- وأنت يجب أن تكوني أفضل من هذا معه! تربية الرجال كتربية الكلاب.. يجب أن تعرفيهم من هو السيد وإلا لن ينالك منهم إلا المشاكل.

نظرت فيرنا فى دهشة إلى كون الذى لم يكن متابعاً لحديثهما لكنه نظر إليها فى دهشة بالغة عندما وجدها تغمغم قائلة:

- وأنا التى كنت أظن أن كل ما تحتاجه هو أن تكون أذكى من الكلب!!

٩- الأعصاب المحترقة

مرت الأيام القليلة التالية فى دوامة من النشاط إذ عادت فيرنا إلى عملها وسابقت الزمن لتعوض غياب الأيام السابقة ولتستعد لخسارة كون إلى الأبد وعاونها ريج ويليامسون فى ذلك كثيراً دون أن يدرى إذ كان قد استهلك معظم مخزونها من القصص والمقالات والمواد الصحفية لدرجة أنها وجدت نفسها تبدأ من الصفر تقريباً ومضطرة لعمل بأقصى سرعة إذا كان لعدد هذا الأسبوع أن ينزل فى الأسواق.

وعندما حل صباح الأربعاء، والذى من المفترض أن يقل ضغط العمل فيه، وجدت نفسها مشغولة بأكثر مما كانت طيلة ليلة الثلاثاء ولم يساعدها اضطرابها الداخلى الذى كانت تعانى منه، بالمرة ووجدت نفسها تتعامل بحدة وقسوة مع ديف وجينيفر وتقودهما بلا رحمة تقريباً لإنجاز العمل.

ربما لم تكن قد استعادت كامل عافيتها بعد تلك الوعكة التى ألمت بها، أو ربما هى حالتها النفسية التى جعلتها متعبة ومتوترة باستمرار هكذا.

كانت تنام اثنتى عشرة أو ثلاثة عشرة ساعة لكنها تستيقظ فى كل مرة متعبة ومرهقة وكأنها لم تأو إلى فراشها بالمرة.

وبدا أثر ذلك الإرهاق وتلك الحالة على وجهها إلى حد أن مادلين وبختها بعنف عندما زارتها فى مكتبها ذات ثلاثاء قبل الظهر.

صاحت فيها مادلين فى دهشة:

- يا إلهى! فيرنا! إنك تبدين مثل ميت يتحرك.

وسحبتها تقريباً من يدها وخرجت بها قائلة:

- سنتناول غداءً عظيماً، ثم سنذهب لنشترى لك فستاناً مناسباً لأمسية الجمعة، لذا أحضرى معك دفتر شيكاتك ولا تجادلى لأننى نلت ما يكفى من الجدال مع كون، ولا ينقصنى جدالك أنت أيضاً.

لكن رغم كل الضغوط التى تعرضت لها، فقد استطاعت فيرنا أن تصمد أمام إلحاح مادلين أثناء الغداء لتعرف منها سبب امتقاع لونها وشحوب وجهها إلى هذا الحد مستحيل طبعاً أن تخبر هذا المرأة التى أحبتها فعلاً، عن السبب وراء حالتها تلك.. مستحيل أن تخبرها أنها تموت من داخلها لأن مادلين ستتزوج الرجل الوحيد الذى تحبه فيرنا ولذا فقد كذبت عليها وأفلحت فى ذلك لأول مرة لدرجة أن مادلين اقتنعت بتحججها باستعباد ريج ويليامسون لها فى العمل.

لكن لم يحالفها مثل هذا النجاح فى إثناء مادلين عن رحلة التسوق.

لقد أزاحت اعتراضاتها جانباً وجرتها وراءها جراً فى كل محل ومتجر للملابس فى المدينة كما كانت آراؤها فى ملابس فيرنا أبعد ما تكون عن المجاملة.

ازاحت بيدها فستاناً كانت فيرنا قد اختارته..

وصاحت فيها:

ألأنك فتاة عاملة ستلبسين ملابس العوانس؟! هيا ألقيه واختارى غيره، إنه مجرد خرقة بالية!!

ولم تبال إذا كان صاحب المحل قد سمعها أم لا!!

وفى النهاية، وبعد أن أربكتها فى الطواف على المحلات اختارت لها فستاناً جميلاً من قماش الجيرس قائلاً:

- خذيه فهو جميل وإن لم تشتريه فسأشتريه لنفسى لكنه مناسباً لك تماماً.

وعندما وجدتها لا تزال مترددة أخبرتها بأنها يجب أن ترتدى شيئاً أنيقاً يظهر جمالها وأضافت:

لا تنسى مسابقة الجمال التى ستقام يوم الجمعة مع المهرجان.

طبعاً سهل عليك أن تقولى ذلك، ألن تفوزى بقلبه فى النهاية؟ هكذا تساءلت فيرنا فى نفسها لكنها سرعان ما وبخت نفسها بشدة على قسوتها على الفتاة فالغلطة ليست غلطة مادلين التى كانت موجودة فى حياة كون وفازت بقلبه ربما قبل أن تفكر فيرنا فى خوض السباق.

لكن.. ألن تفوز أبداً؟.. ولو لمرة واحدة فى حياتها؟!! لم يكن الأمر بالسهولة التى تخيلتها فيرنا وهى تضع اللمسات الأخيرة على هندامها فى السادسة من مساء الجمعة، كان حس الجرأة الذى بثه ذلك الفستان فى قلبها مغايراً لحالتها النفسية التى كانت تتهاوى على قاع كبيرة من الاكتئاب يزايد عمقها مع كل ثانية.

كانت مادلين قد اتصلت فى وقت مبكر أثناء النهار وطلبت من كون أن يذهب ليأخذ فيرنا ثم ينطلقوا ثلاثتهم معاً إلى الحفل.

ورغم أن فيرنا كانت تريد الرفض لكن الكلمات احتبست فى حلقها، وفات أوان الرفض ووجدت نفسها مضطرة للذهاب معه.

ستتدبر الأمر بشكل أو بآخر وستحاول التغلب على حرج الموقف لقد كانت تستعد نفسياً لتلك الأمسية طيلة الأسبوع، مصممة على أن تتمالك نفسها أثناء الحفل فلا تنهار أو تفعل شيئاً غبياً أو يفصح عما فى نفسها.

ستأكل كثيراً وستتفادى كون كما لو كان طاعوناً أو وباءً قاتلاً.

نعم تلك هى الوصفة الصحيحة لكنها لا يجب أن تكون وقحة أو تتشاجر معه أو أى شيء نحو ذلك نعم ليس عدلاً أن تفسد ليلة مادلين الكبرى، فضلاً عن مستقبلها.. أجل مستقبلها، مستقبل مادلين مع كون برادلى لقد تحدد مستقبلها هى فعلاً إنها ترى الآن نفسها عانساً فى الأربعين من عمرها، وربما تصبح منهكة الملامح وكسيرة النظرات مثل هؤلاء الصحفيات العوانس اللاتى طالما قابلتهن كثيراً فى عملها وربما تصبح عجوزاً معقوفة الأنف، جفت نضارتها وزادت مراراتها والتوى فمها، وتتحكم فيمن يعمل معها، ومسترجلة كأقرانها من الرجال.. لكنها كانت تعلم أنها لن تصل إلى هذه الهوة.. ومع ذلك فقد كانت تعلم كم هى محتاجة إلى تلك السعادة التى لم تتذوق طعمها من قبل.. سعادة أن تجد من تحب ويحبك ويشاركك أفراحك وأتراحك..!

سمعت طرقة خفيفة على الباب عادت إلى وعيها سريعاً وسحبت

نفساً عميقاً واستعدت فى صلابة لليلة الموعودة فتحت الباب ورأته وكان لمرآة وخزة سريعة فى قلبها المكلوم.. وسيم وأنيق كنجوم السينما فى بدلته التوكسيدو الزرقاء.. ربما تنجو على أية حال إنها لم تنهد حتى الآن ولم تنهمر الدموع من عينيها وهو يساعدها على ركوب السيارة ولا حتى انهارت أمام تألق عينيه وتلك السهام الذى أخذت نظراته ترميها فى قلبه وهو ينظر إليها فى ود ورقة..

استقبلتهما مادلين بأكواب عصير الليمون وعانقت فيرنا فى حرارة.

كان فستان العارضة والممثلة ذات الشعر الأسود، وكما توقعت فيرنا أن يكون مذهلاً بمقاييس بوندابورج ولم يكن ذوقه من النوع الذى يمكن أن ترتديه فيرنا أبداً، ورغم أنها قد رأت واحداً واثنين يشبهانه فى جولتهما التسويقية يوم الثلاثاء، إلا أن البائع قد أخبرها أنه لم يبع مطلقاً أياً منهما من قبل، إذ لا توجد امرأة فى بوندابورج تملك من الجرأة ما يجعلها ترتديه وكانت فيرنا تعلم السبب.

لكن مع مادلين فالأمر مختلف لقد أعطتها السنوات الطويلة التى عملت فيها بالتمثيل وعرض الأزياء ثقة واعتداداً بالنفس لم يتوفر لامرأة فى هذه المدينة الريفية الساذجة.

لم يتناقشا كثيراً فى دور كل منهما فى هذه الليلة وسخرت مادلين من دور كون فى الحفل قائلة:

- إنه لا يذهب لمثل هذه المناسبات من أجل عيون النقد والمناقشات بل يذهب ليتأمل محاسن المتسابقات الفاتنات، بينما ننشغل نحن بالحديث.

وأحست فيرنا بالأسى لأجل هؤلاء المتسابقات المخدوعات اللائى يغرر بهن ليعرضن مفاتنهن فى سوق رخيص للنخاسة وربما تأتى الواحدة منهن بمعدة خاوية وبدن منهك من أجل عيون الأناقة.. الأناقة!!

أعادتها مادلين مرة أخرى إلى الحوار عندما قالت فجأة:

- فيرنا! هناك شىء أريد أن أحدثك به ليس بشأن هذه الليلة إنه شىء أهم من ذلك بكثير أعلم أننا لم يتعرف أحدانا على الآخر جيداً بعد لكننى أشعر بأنك مثل أختى ولقد أصبحت غالية عندى و..

يا إلهى! إنها ستطلب منها شيئاً عن الزفاف أجل إنها تعلم ذلك مادلين توقفى من فضلك! من فضلك لا تفعلى هذا بها..

ولقد ظلت أفكر فى هذا الأمر طيلة هذا الأسبوع الماضى، فيرنا.. إننى أريدك أن تكونى وصيفتى فى الزفاف أعلم أنها مفاجأة بالنسبة لك لكن من فضلك يا فيرنا أرجوك.. فكرى فى الأمر.

تفكر فى الأمر!! تفكر فى المستحيل! فى الضربة القاصمة التى ستوجه إلى كيانها كله!! طبعاً لا يمكن أن تفكر فيه بالمرة بل إنها لا يمكن أن تتخيل أن تفكر فيه.. ومع ذلك فقد قلبته فى رأسها ورأت نفسها تقف بابتسامة جوفاء فارغة على شفتيها، تتماشى مع روحها الفارغة الجوفاء، رأت نفسها تحمل الشموع وتسير بابتسامتها الجوفاء التى توزعها على الجميع، خلف مادلين التى تضع يدها فى يد كون أمام الكاهن وهما يقسمان قسم الزواج والوفاء للأبد.. ودت لو استطاعت أن تصرخ إحباطاً ويأساً وألماً يسرى فى بدنها سريان النار فى الهشيم ودت لو هبت من كرسيها وأطلقت ساقيها للريح هاربة..

إلى أين؟ إلى أى مكان قد تستطيع فيه الهرب من هذا الموقف كله.. من ذلك الذبح الذى تتعرض له روحها المسكينة.

لكنها نظرت فى عينى مادلين ورأت ذلك الشوق الجارف وتلك الرغبة الصادقة فلم تستطع منع نفسها من الاستسلام ولم تستطع لعواطفها تحريراً لا لا.. إنها لا يمكن أن تجرح هذه المرأة البريئة التى لا جريمة اقترفتها سوى أنها تحب كون كما تحبه فيرنا.

ولكن مع ذلك فهى لا تستطيع مطلقاً تلبية رغبة مادلين سيكون ذلك انتحاراً ينكب فى فمها جرة من العصير وجرعة أخرى ضيعى الوقت فيرنا.. يجب أن تضيعى الوقت.. أغمضت عينيها وكأنما تفكر فى الأمر.

قال صوتها ولم تقل:

كون يجب أن أتناول شراباً بارداً آخر لأبتلع به مفاجأة كهذه عصير برتقال.. نعم كوب كبير من عصير البرتقال.

ثم استدارت تواجه عينى قاتلتها وهى ترغم صوتها على الهدوء.

بدأت فى تردد:

- هل فكرت فى هذا الأمر جيداً يا مادلين؟ أقصد أننا لا تكاد تعرف إحدانا الأخرى و..

أشاحت مادلين بيدها رفضاً وتلألأت الأساور فى يدها تحت الضوء الساطع.. قالت:

- طبعاً فكرت فيه جيداً يا فيرنا، ليس لدى أصدقاء كثيرون.. لا

ليس أصدقاء بالمعنى الحقيقى.. ولم أقل فى حياتى امرأة دخلت قلبى بمثل هذه السرعة مثلك.

لا.. لا لقد اخترتك وأنا مصممة عليك، بشرط أن توافقى وستوافقين أليس كذلك؟ فيرنا.. أرجوك.. إنك ببساطة يجب أن تفعلى ذلك!

سألتها فيرنا:

- وأين سيكون الزفاف؟ أقصد أن ورائى أشغال و..

ولا أريد أن أعرف أين سيكون قال قلبها.

ولا أريد أن أعرف أى شىء عنه سوى أن يقال لى إنه انتهى.. أريد أن أنسى..

ردت مادلين:

- كنت أفكر فى إقامته فى سيدنى لكن الآن وبعد أن رأيت هذا المنزل الرائع فسيكون الزفاف هنا بالطبع.

أجابتها فيرنا فى دهشة:

- هنا؟ أوه..

لم تجد ما تقوله سوى ذلك إذ راح عقلها يدور فى دوامة عنيفة مفزعة من الأصوات لم تستطع معها نطقاً..

ردت مادلين:

- نعم بالقطع سيكون هنا فى الحديقة الخلفية، أو ربما على الشاطئ إذا كان الطقس جيداً بما يكفى لكن عموماً لا يهم ذلك الآن المهم هو أن توافقى على أن تكونى وصيفتى فى الزفاف سنتحدث عن

التفاصيل فيما بعد؟ نصف المتعة فى الحديث عن التفاصيل.

متعة؟!! أية متعة؟! بل قولى كل العذاب! سيكون ذلك مستحيلاً!

قالت فيرنا وهى تحاول فى يأس الهروب:

- لكن قد لا أكون هنا حينها فلن أكون ساعتها مقيمة فى بوندابورج كما ترين لدى أشغال محتملة معروضة على و..

قاطعها صوته الأجش:

لا تستطيعى ترك العمل دون الأخطار قبلها بثلاثة شهور على الأقل وسيتم هذا الزفاف فى الثامن عشر من مارس، ولذا فليس هناك مشكلة.

حذرته مادلين قائلة:

- أخرج أنت من هذا الموضوع ذلك قرار فيرنا ولا أريدك أن تضغط عليها بكفيك ما فعلته بها حتى الآن.

غمغمت فيرنا تقول:

الثامن عشر من مارس؟!!.. لكن سيكون ذلك يوم ثلاثاء أوه أنا آسفة جداً يا مادلين لكن الثلاثاء بالنسبة لى..

قاطعها مرة أخرى متجاهلاً نظرة التحذير فى عينى مادلين:

- لا بل يوم أربعاء فيرنا! إننى لا أفهمك حقاً! فأنت تعلمين جيداً أنك لن تكونى مشغولة بالأشغال التى تكلمتى عنها.. وحتى لو كان ذلك صحيحاً فإنك تعلمين جيداً أننى أستطيع أن أستأذن لك من ريجى ثم إن يوم الأربعاء يكون أسهل أيام عملك..

صاحت فيرنا فى أعماقها تعلم.. تعلم.. تعلم!! لكنك لا تعلم شيئاً!!

كيف تتوقع منى أن أقف إلى جوار عروسك فى يوم زفافك؟! وأنت تعلم أن ذلك سيقتلنى كيف تتلاعب بعواطفى بهذه الطريقة؟ كيف تعاملنى بهذه الوحشية؟ وكيف وقعت أنا فى حبك؟!!! هرولت تصعد إلى غرفتها قبل أن..

وبالكاد لحقت نفسها قبل أن تفقد وعيها ومن غرفتها وصل إلى مسامعها أصوات شجار غاضبة أحدها حاد ورفيع ومفعم بالحيوية.. والآخر أجش يدوى كهزيم الرعد.

ثم انفتح الباب ووجدت مادلين تجثو إلى جوارها وتحتضنها وتربت على ظهرها فى رفق بالغ إلى أن تلاشت تشنجاتها..

وقالت لها فى حنان مذهل:

- أوه! فيرنا! أنا آسفة يا حبيبتى لم أكن أقصد أبداً أن أزعجك إلى هذا الحد!! يا إلهى ماذا فعلت؟!!

أجابتها فيرنا من بين تنهداتها:

- لست أنت..

لكنها احتضنتها فى عنف وقالت:

- لكننى أنا التى بدأت كل هذا.. لكن قد تكونى على حق لابد أن الجحيم أهون من حب مثل هذا الرجل إنه أخى وأنا أعرفه و..

سألتها فيرنا فى ذهول:

- هو ماذا؟

أخى وكما تعلمين هذا الرجل الطويل الوسيم والغبى بالأسفل هناك..

سقط الكوب من يد فيرنا وانفجر على الأرض كالقنبلة.

عاونتها مادلين على النهوض وأجلستها على أحد المقاعد وأخذت تربت على صدرها وتهدئ روعها.

وكان يعرف.

ثم صرخت بأعلى صوتها:

- كان يعرف!!!

بدت صدمة مادلين أكثر من صدمة فيرنا نفسها إذا كان ذلك ممكنا!! تحول لون عينيها الأزرق الشاحب إلى لون دافئ ثم إلى شعلة من النار وارتعدت فيرنا وهى ترى عينى مادلين تتحول إلى نفس عينى أخيها!!

لكنها قالت فى رفق:

كنت على وشك أن أحذرك من الاعيبه فهو يعشق الألاعيب الشيطانية ومؤكد أنك تعرفين عنه ذلك بالفعل.

غمغمت فيرنا:

- الآن عرفت! الآن عرفت!

ونظرت إلى مادلين ورأت الدموع تنهال من عينيها لترافق دموعها هى أيضاً ثم احتضنت كل منهما الأخرى فى عنف لكن كانت قوة مادلين هى التى جلبت إلى نفس فيرنا المروعة الراحة والاستقرار.. حتى توقف دمعها أخيراً..

قالت مادلين وهى تمسح دموعها:

- كنجهام هو اسم الشهرة وإن كان ذلك سيعزيك فاعلمى أنك قد نلت منه.. أجل.. أجل إنه يحبك أكثر مما تحبينه ولكنه يقاوم قلبه فى شراسة إنه أخى وأنا أعرفه جيداً ذلك المتوحش أحس أحياناً بالخجل لكنى أخته، ولم أفكر من قبل فى قول ذلك عن كون. هذا الغبى! لقد اندمج فى اللعبة حتى ما عاد يراعى مشاعر الناس.

قالت فيرنا فى برود:

- كان بإمكانى قتله كان بإمكانى ذلك ذات مرة.. وليسامحنى الله أننى لم أفعل ذلك حينها!!

ثم بدا وكأن كل منهما يحدث شخصاً آخر.

قالت مادلين تهز رأسها فى أسى:

- إنه مرعوب نعم أخى الضخم الشجاع الأعزب مرعوب يكاد قلبه يفر من مكانه رعباً لقد وقع فى حبك ولا يدرى كيف يتعامل مع ذلك.

قالت فيرنا فى شرود:

وهو يعلم أنى أحبه لقد كان يعلم ذلك طوال الوقت لكنه لم يكن يحبنى بالقطع؟ وكيف يكون قد أحبنى وقد كان يتعامل معى بكل هذه الوحشية وكل هذه القسوة؟! كل هذه الأنانية كل ذلك لأننى.. سأقتله.. سأقتله.. سأقتله.

تمتمت مادلين فى لطف:

- لا يكون الدم أبداً ماءاً دعيه لى سأتكلم مع أخى العزيز قليلاً..

بادرتها فيرنا فى سرعة:

- لا يا مادلين لا تحدثيه فى الأمر لا تقولى له كلمة واحدة طالما هى لعبة وطالما عرفت الآن فسأعرف كيف أتعامل معه أجل صدقينى الآن أعرف كيف أتعامل معه لقد انتهى الأمر.

همست مادلين قائلة:

- ستعلمين غداً أو اليوم أو بعد غد أفضل من هذا لكن سنتبع طريقتك هناك فقط أشياء أريك أن تعرفيها أولاً اتفقنا استعدى للحفل. وبينما تستعدين سأخبرك.

أطاعتها فيرنا فى هدوء وفعلت كما أشارت عليها.

بدأت مادلين تحكى:

- إن كون فى السابعة والثلاثين إنه رجل صعب المراس لكنه كان دائماً مع ذلك لطيف ورقيق، وأعتقد أنه لا يزال كذلك رغم ما قد يدل على عكس ذلك كما أنه مغرور لدرجة لا تطاق وأظن أن ذلك هو السبب الذى جعله يفعل كل هذا معك صحيح أنه ليس خجولاً لكنه لا يريد أن يقر بحبه لك أمام نفسه ذلك طبع راسخ فى العائلة كلها أنا نفسى قد أكون مثله أحياناً لكن زوجى القادم عرف كيف يتعامل معى وعليك أنت أيضاً يا عزيزتى أن تعرفى كيف تؤدبينه.

أجابتها فيرنا فى شرود:

- مادلين، أعرف ما الذى تريدين أن تقوليه لكن ذلك لا يهم انتهى كل شىء.. انتهى.. فسد.. تلف.. انتهى لم أعد أهتم كل ما أريد فعله الآن هو أن تمر هذه الليلة ثم أنسى بعدها كل شىء.

ردت مادلين فى رفق:

- حسناً يا عزيزتى لا فائدة من مجادلتك الآن أعرف أن كل شىء انتهى وأعلم أن تكرهينه وأنا نفسى أكرهه بعض الشىء اتفقنا لكن دعينا نحتفظ بهدوئنا حتى تمر الليلة فى سلام ثم يذهب كل منا فى طريقه.

ثم دقت الأرض بقدمها فى عنف وأضافت:

- لكننى سأنتقم منه يوماً ما.. لنا نحن الاثنتين.

نظرت إليها فيرنا بعينين فارغتين وقالت:

- كما تشائين يا مادلين والآن دعينا ننتهى من هذا

سألتها مادلين فى ريبة:

- هل أنت واثقة من أنك تريدين فعلاً المحاولة؟

أجابتها فى وجوم:

- يجب على ذلك إنه جزء من مهام وظيفتى.

هبطت الفتاتان السلم معاً ونظرت إليهما فيرنا بعينين جديدتين كان جمال فيرنا النظير المقابل لجمال مادلين ورأت فى عينى كون أنه رأى جمالها وأنه تأثر به ثم لم تلاحظ بعد ذلك شيئاً فبالنسبة لها لم يعد له وجود!

عندما أخذ بيدها يساعدها على ركوب السيارة لم تجفل من لمسته ولا تأثرت بها فهو لم يكن هناك وخلال الحفل لا سمعته ولا رأته ولا تحدثت معه وكيف تتحدث مع شخص غير موجود؟!

طاف بخيالها أول لقاء لهما معاً فى ذلك الصباح الموحش على ذلك الشاطئ المهجور، ثم نفضت عن رأسها الذكرى لم يكن ذلك كون

برادلى ذلك الغريب الذى رأته على الشاطئ يومها كان خشناً فظاً، لكنه أعطاها الود والرفق والعناية لقد كان رفيقاً بها.. ولم يكن كونت.

اقترب منها قائلاً:

- أنت غريبة الليلة يا فيرنا.. ألا تعتقدين أنك تتقمصين شخصية الغولة أكثر من اللازم؟ إننى حتى بدأت أعتقد أنك لم تعودى تحبيننى!!

أجابته فى احتقار:

- الحب!! إنك لا تعرف معنى هذه الكلمة إنك لا شىء سوى خنزير متغطرس مغرور ومتقوقع على ذاتك وغشاش.

أجفل فى دهشة من رد فعلها وكلامها ثم مد يده إليها.

صاحت فيه فى ثورة عارمة:

- إياك أن تلمسنى!! لقد فعلت بى ما يكفى!! لقد استوليت على وعاملتنى كأى امرأة ساذجة فى رواياتك الحقيرة وأنا لست كذلك!!

ودقت الأرض بقدمها فى عنف وأضافت:

- دعنى أقل لك شيئاً واحداً أيها السيد كون برادلى السفاح إنك لا شىء! هل تسمعنى جيداً؟ لا شىء إنك تعشق الحيل وتتلاعب بعواطف الناس.. إنك تجعلهم يحبون ويعشقون ثم تذبحهم وتتركهم ينزفون ثم تقف لتتفرج عليهم فى تلذذ أنت.. لا شىء!! حتى أبطال قصصك لديهم قدر من الإنسانية يفوق ما لديك إنهم أكثر منك شفقة ومودة وعطفاً.. إننى أرثى لحالك أجل أرثى لحالك!!

وهل تعلم أيضاً! فأنت لم تعد موجوداً كنت سأكرهك لكنك لم تعد

موجوداً فى حياتى بعد هذه اللحظة ستخرج من حياتى ومن جريدتى ومن كل شىء أحبه وأقدره وأؤمن به أنت لم تعد .. موجوداً!

ثم استدارات وانصرفت وتركته يحدق فى الفراغ والراقصون يلتفون حوله فى دائرة والأرض تدور من تحت قدميه وتضيق.. وتضيق.. وتضيق..!

وجدت فيرنا أن النوم سيكون من رابع المستحيلات فى تلك الليلة وكانت تعلم ذلك وهى تستقل التاكسى متجهة إلى منزلها كانت حدة الغضب الذى انفجر فى وجه كون برادلى قد بدأت تتكسر؟ وعندما تقلبت فى فراشها بضعة دقائق دون أن يداعب النوم جفونها، كانت أخطر موجة فى بحر غضبها قد تكسرت على شاطئ الفراق.

لم تكن قد اهتمت بإشعال مصابيح الغرفة وتحسست بيديها فى الظلام أحد الأدراج وأخرجت قميصاً بنصف كم وسروالاً من الجينز وربطت شعرها بشريط من المطاط وجعلته على شكل ذيل الحصان أسرعت تخرج شبيا من كوخها وتهرول خارجة من المنزل متجهة نحو الشاطئ.

فى البداية سارت على غير هدى وكيفما اتفق تجول الشواطئ المهجورة وتغسل أحزانها بهواء الليل المنعش الذى خالطه عبق البحر وصوت الأصداف تركت غضبها يحوم حولها ويفوح فى المكان حتى توارى كظلمة الليل عندما يشتتها ضوء الفجر وظلت هكذا حتى بزغ القمر وتحت ظلها بضوئه على صفحة الرمال البيضاء من تحت قدميها.

حملتها قدميها إلى الطرف الشمالى من شاطئ كيلى بيتش، ثم إلى المياه الساكنة التى يتميز بها الشاطئ كان المكان فى الليل عالماً آخر مختلفاً تحوطه السكينة وترفرف فوقه أطياف الهدوء ولا يشق سكونه إلا سمكة كل حين تقفز وراء طعامها.

أخذت تسير فى خطوات ثقيلة على رمال الشاطئ وخواطرها تتبع آثار ارتباطها بذلك الرجل الذى أدركت الآن أنها ستظل تحبه مهما كانت الجراح التى يسببها ليها تذكرت رد فعلها عندما سماها أمنا الغولة لأول مرة.. وكم مضى على ذلك من زمن طويل .. وكم لا يزال ذلك غضاً طرياً فى ذاكرتها وكأنه حدث منذ دقائق!! وتذكرت فى سرور كيف كانت مشاعرها عندما ذهبت مع جارى إلى ذلك المطعم وأصبحت فرجة لكل من كانوا فيه وكيف علمها كون تأكل كما يأكل الصينيون وكم فشلت فى التقاط الأرز واللحم بهذه العصى الغريبة.. وكم ضحكاً معاً.. ضحكاً صافياً يخرج من الأعماق، ولا تشوبه شوائب الأسى! لكن لقد انتهى كل ذلك الآن، وأحست بشىء من السكينة والسلام النفسى أن انتهى كل ذلك فبعد ما حدث منها معه فى الحفل لن يعود إليها أبداً، أبداً إنه مغرور لدرجة لا تجعله يفعل ذلك مطلقاً وهى كذلك مغرورة! ولكن على طريقتها هى لن تذهب إليه أبداً.. إنها حتى لا تفكر فى ذلك الآن.

لكن لو لم يكن خائفاً من الحب إلى هذه الدرجة!! لو كان قد سلم قلبه طواعية كما سلمت له قلبها طواعية.

لا لا.. لن تفكر فيه بعد الآن نظرت إلى مياه البركة الساكنة اللطيفة كم تود الآن لو كانت أحضرت معها رداء السباحة أتاها من

بعيد صوت بعض الشباب يلهون ويمرحون معاً أسرعت تبتعد عنهم لا تريد من يفسد عليها هذا الهدوء، أو يقطع عليها أفكارها ظلت تسير فى اتجاه الجنوب على أن خرجت من منطقة الرمال الناعمة.. وإلى أبعد ما يكون عن الطريق وعن البيوت.

عبرت شريطاً صخرياً.. ثم آخر.. ثم ثالث.. إلى أن كلت قدماها فتوقفت على هلال من الرمل بدا منعزلاً عن العالم من حولها تلاشت أصوات المارة والناس والسيارات.. والتحف المكان بهدوء عجيب ظلت شيبا تطارد خيالها ووقفت هى لا تلق لها بالاً، تحك كاحلها بإصبع قدمها الأخرى وتتأمل الأمواج وهى تبتعد عن الشاطئ مرة ثم تعود فتصافح وجه الرمال..

قررت فجأة أنها ستحضر زفاف مادلين مازال أمامها من الوقت لتلملم شتات نفسها وتستجمع شجاعتها طبعاً سيكون كون هناك، لكنه لن يكون هناك من أجلها ستجعله يتلاشى من نظراتها كما جعلته يتلاشى من أفكارها ولم يعد يخطر على بالها نعم ذلك سهل جداً.

رنت ببصرها تجاه الماء فأبصرت سرباً من الدلافين يتقافز فى الماء فى لهو ومرح وقد انتصبت زعانفها كأشرعة صغيرة فوق صفحة الماء.

كم هو جميل أن تكون دولفينا!! وأن تسبح فى مياه هذا المحيط بقلب لا تمزقه الأوجاع ونفس لا تكسرها الحب!! لكن هل الدلافين حرة فعلاً؟! إن العلماء يقولون إنها فى مثل ذكاء الإنسان تقريباً وربما أذكى وهل يعنى ذلك، أنها هى أيضاً، تتعذب بالحب؟!

وفجأة وجدت فى نفسها ميلاً شديداً للحاق بهم.. لتجرب مرحهم وحريتهم وما هى إلا ثوان وكانت فى المياه بملابسها تشق الأمواج لكن.. خسارة!! لم تنتظرها الدلافين اختفت وذابت كالملح وسط الماء وتركتها وحيدة فى هذه المياه التى تتألق كأضواء الفوسفور تحت ضوء القمر الساطع.. غطست تحت الماء وعندما صعدت على السطح سمعت نباح شيبا فقادتها وأسرعت الكلبة تلحق بها فى الماء.

ظلتا تلهوان وتلعبان معاً لفترة إلى أن تعبت الكلبة وأخذت تتسلق جسد سيدتها تظنها جزيرة.. ذكرها ذلك بتلك الرحلة الإجبارية التى خرجت فيها معه ولعبا معاً وأراها كيف درب كلبتها!

كم هى كثيرة ذكرياتها معه!! مستحيل أن تستطيع إعدامها كلها استدارت فى أمسى وسحبت متجهة نحو الشاطئ.

انهمرت الدموع من عينيها.. وسرعان ما وجدت نفسها فى نفس البقعة التى سرقت فيها شيبا ملابسه أول مرة وقفت وعيناها تمسحان الشاطئ والبحر لعله يكون هناك.. لكن.. لا أحد..

هل كان هو ذلك الشخص؟ نعم هو.. لا.. لا.. لكن.. هى لا تدرى.

لا تزال تسمع اللهثات التى اخترقت أذنيها قادمة من البحر.. لا تزال ترى بعين ذاكرتها ذلك الشبح الضخم وذلك الهيكل الرشيق الذى انشق عنه ماء البحر لقد سرقت شيبا ملابسه، لكنه سرق منها روحها..

رفعت عينيها وهزت رأسها تتأمل وجه الماء وتتمنى المرة بعد المرة أن ترى ذلك الظل الذى أهداها لها البحر.. ذلك الذى كاد يفتك بها

ويذهب بها للمخفر، لكنه فى النهاية ترفق بها وكان رقيقاً معها.

صاحت فجأة فى حقد هائل:

ليتك تغرق ليتك تغرق وتذهب للجحيم يا كون برادلى!

وسخر البحر من كذبها المفضوح وأخذ يصفع قدميها بأمواجه استدارات فى غضب وتصميم ستبتعد عن هذه البقعة الملعونة التى دمرت حياتها.

لن تعود إلى هنا أبداً أبداً طيلة حياتها.

وبعد بضعة خطوات توقفت ونظرت وراءها ولم تصدق عينيها..!

ظل طويل يتحرك ناحيتها فى ضوء القمر!!

مستحيل!! هكذا صرخت فى نفسها لكنها كانت تعلم جيداً أنه مؤكد ورغم أن غريزتها راحت تلح عليها بالهروب إليه أو منه انزرعت فى مكانها كالتمثال لا تستطيع تحريك عضلة فى جسدها.

أرجوكِ!!

ما هذا الصوت لابد أنها الرياح، نعم!! إنها الرياح تحدث الأمواج التى راحت تضرب وجه الشاطئ فى قسوة.

لكن الظل تحرك ناحيتها فى بطء.. وكانت تعلم أنها ليست الرياح ولا البحر، بل هو

أرجوكِ يا فيرنا.. أرجوكِ!

أسرع عقلها يغلق كل الأبواب فى وجه ذلك الصوت لكن عينيها لم تستطع الانغلاق أمامه ذلك الظل أصبح الآن على بعد خطوات منها..

اقترب خطوة أخرى.. وثالثة.. ورابعة ولم تستطع الصمود أكثر من ذلك استدارات وأطلقت ساقيها للريح.

صرخت وهى تجرى:

- شيبا! شيبا.. حراسة!!

وانشق ظلام الليل عن شبح يعود وقد بدت أنيابه البيضاء تتلألأ كنصل السكين الحاد..

وتحركت الكلبة كنذير الموت فى صمت لم يقطعه سوى الصرخة التى أطلقتها.. ثم تجاوزتها فى سرعة وقفزت على صيدها الثمين.

واختلط الظلان معاً وتدحرجا على الأرض..

وانطلقت صرختها فى رعب:

- شيبا.. تراجعى.. تراجعى.. آوه! كفى! كفى أيتها الكلبة الغبية.

وهرولت تحمله على كتفها قائلة فى لوعة:

- آوه! كون.. أنا آسفة..

وانهمرت دموعها على كتفيه..

غرد صوته قائلاً:

- أنا على ما يرام.. على ما يرام.. على ما يرام..

وظل يربت عليها حتى هدأت.

سألته فى لهفة:

- هل آذتك؟ دعنى أرى أرجوك.. يجب أن أرى..

أجابها فى أسى:

- إننى أحبك يا فيرنا.. أحبك.. منذ أول لحظة وأنا أحبك.. أوه! كم أنا غبى ومجنون وأحمق.. لقد آذيتك كثيراً.. سامحينى.. لقد أحببتك بجنون إلى درجة جعلتنى أموت رعباً من هذا الحب..

همست تجيبه:

- وأنا أحبك أيضاً وأنت تعلم ذلك أحبك منذ البداية.

سألها فى أسى:

- سامحينى يا فيرنا؟ أرجوك..

ردت عليه فى حنان:

- لقد سامحتك طبعاً.. أيها الرجل الغبى.. لكن إن لم تقل لى هل كنت أنت ذلك الشخص الذى رأيته فى تلك الليلة فسوف.. فسوف..

ابتسم فى وهن قائلاً:

- سأتركك لقلبك وسيخبرك لكن ما هذا..

وأشار إلى شعار مكتوب على القميص الذى كانت ترتديه كان الشعار مقلوباً لكنها استطاعت أن تقرأه بوضوح:

- معاً لنحارب العنوسة

وانفجرا فى الضحك بسعادة.